القديسون الساباويون

مركز الثقافة والتعليم الأرثوذكسي – بيت جالا

AlTOUSHKIN FOUNDATION (A.F.C.O.C)

أشرف على هذا الكتاب

سيادة المطران تيموثاوس

ميتروبوليت بُصرى

إعداد وتحضير

مركز الثقافة والتعليم الأرثوذكسي في بيت جالا

بالتعاون مع

قدس الأب الأرشمندريت أفذوكيموس

(الرئيس الروحي لدير القديس سابا)

بمناسبة مرور 1500 عاماً على تكريس

كنيسة الكاثوليكون (كنيسة بشارة القديسة والدة الإله)

في اللافرا المقدسة

طُبع هذا الكتاب على نفقة

السيد إيجور ألتوشكين

المحسن الكبير لبطريركية الروم الأرثوذكس في القدس

5 كانون الأول 2002

مقدمة الكتاب

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد. آمين

إن كنيسة القدس الأرثوذكسية المقدسة تفتخر بقديسيها الأبرار العظام الذين يزينون سماء الكنيسة وقد لبوا الدعوة الإلهية فنالوا نعمة التقديس في حياة النسك والرهبانية التي تقول بالتمسك بالقيم الروحية، فهذه أرض مباركة تقدست بالنساك والآباء القديسين الذين عاشوا في هذه البقعة المقدسة من العالم.

ومن هؤلاء القديسين من كان أباً روحياً أو موجهاً نحو حياة القداسة والبر، ونذكر منهم ثيوكتيستوس والقديس أفثيميوس والقديس إيلاريون الذين تركوا لنا أديرة عظيمة الشأن معروفة في تراث كنيستنا المسيحي النسكي.

ولكن أبانا البار سابا المتقدس تميز بشخصية لامعة بنور الإيمان والتواضع والفضائل، وهو القديس الذي بنى ديرة الذائع الصيت ونحن في هذا العام 2002 نحتفل بمرور 1500 عام على بناء كنيسة الدير المركزية التي تحمل اسم البشارة والدة الإله الكلية القداسة، وقد علّم القديس سابا الآلاف من الرهبان مبادئ الحياة الرهبانية بكل ما فيها من أصالة وإيمان وتمسك بالعقيدة وتواضع عظيم وحياة بعيدة عن الدنيا تقرباً من السماء، وقد تعرف تلاميذ القديس سابا على طريق الحق والكمال سائرين وفق الوصايا الإلهية مجاهدين الجهاد الحق لكي ينالوا نعمة السماء، وفي الفترات الذهبية من تاريخ هذا الدير العريق وصل عدد الآباء والرهبان المتنسكين الى أكثر من خمسة آلاف راهب، ولكن الاستعمار والغزو الذي لحق بمنطقتنا جعل الكثيرين من هؤلاء يختتمون حياتهم بالشهادة في سبيل الإيمان القويم.

هذا الكتاب عربون محبة ووفاء واعتراف بسمو القداسة وطهر السيرة التي تحلوا بها فأضحوا نبراساً ومصدر إشعاع روحي لأبناء الكنيسة المقدسة، وإننا نقدم هذا الكتاب للمهتمين بالشأن الكنسي والروحي ببركة غبطة أبينا وبطريركنا كيريوس كيريوس إيرينيوس الأول.

إن هذا الكتاب يحتوي على سير عدد من القديسين الذين تتلمذوا على يد القديس سابا هو ثمرة جهد مشترك بين مركز الثقافة والتعليم الأرثوذكسي في بيت جالا، وحقارتي، وقد تبرع السيد إيجور ألتوشكين مشكوراً بنفقات طبع هذا الكتاب إبرازاً لتراثنا الروحي في هذه الأرض المقدسة ودفاعاً عن الأماكن المقدسة الكلية الوقار.

نسأله تعالى أن يتقبل تقدمتنا هذه ببركات آبائنا القديسين وأن يكون هذا الكتاب مصدر فائدة وتعزية لكافة الذين يريدون عيش الحياة المسيحية كما يجب أن تكون.
الداعي لبنوتكم بالرب الفادي يسوع .
ميتروبوليت بُصرى
تيموثاوس

تمهيد

اللافرا المقدسة للقديس سابا المتقدس

أسسها القديس سابا المتقدس في برية اليهودية سنة 484 م ، اللافرا المقدسة مبنية على سفح منحدر خطر من الجهة الغربية لوادي قدرون، وأضحت هذه اللافرا مركزاً للحياة النسكية ما يفوق ألف وخمسمائة سنة، و اللافرا هي دير شركة حيثُ تعيشُ فيه جماعة النساك المتوحدين، ومنذ تأسيسه لم يسمح للنساء الدخول إليه.

في هذا الدير الشهير يوجد:

1- رفات القديس سابا سالمةً من الفساد والبلى.

2- قبر القديس سابا.

3- كنيسة الدير الأولى وهي مكرَّسة للقديس نيقولاس. وهذه الكنيسة كشف عنها الرب للقديس سابا، فيما كان يعيشُ بعد مع تلاميذه داخل الكهوف، على الجانب الآخر للممر الصخري، عندما كان القديس سابا يبحث عن مكان مناسب يستطيع أن يبني عليه كنيسة، إذا بعمود نور ينتصب أمامه من الأرض إلى السماء ففهم بذلك أنها إشارة إلهية، فإذا في الموضع مغارة واسعة عجيبة لها شكل كنيسة بتفاصيلها ولها حَنِيَّة في الجهة الشرقية. تمّ تكريس هذه الكنيسة عام 491 م.

وتوجد داخل الكنيسة الرفات المقدسة، وكنيسة صغيرة للآباء الشهداء الذين قتلهم الفرس سنة 614 والساريّون سنة 796م.

4- الكنيسة الكبرى في الدير، شُيدت في أيام القديس سابا سنة 502م، وكُرست على شرف بشارة والدة الإله وفي داخلها توجد رفات القديس سابا.

5- صومعة القديس يوحنا الدمشقي وقد عاش فيها في القرن الثامن، في داخل هذه الصومعة الصخرية منح الدمشقي الكنيسة 1200 طروبارية شعرية، وهذه الطروباريات عبارة عن صلوات تُفصّل أعياد القديسين وقانون القيامة وإذيوميلات الأموات وأُخرى للخشوع والتوبة ...الخ.

6- يوجد باب سرداب يؤدي إلى مقبرة الدير تحت الأرض، حيث توضعُ أجساد الآباء الراقدين على منضدة حجرية دون أن تُدفن في التراب وتتحللُ دون رائحة كريهة، وبعد

مرور فترة من الزمن، تُجمع عظام الرهبان الراقدين، وتُغسل بالماء ومن ثم تُحفظ بعناية في غرفة جانبية.

7- برج يوستنيانوس؛ بُني في القرن السادس بعد الميلاد، ويبلغ علوُّه ثمانية عشر متراً وكان يُستعمل للمراقبة، حيثُ كان يعمل فيه متوحد واحد، وفي العهد ذاته كانت الأسوار العظيمة تحمي الدير من الهجمات اللصوصية. وقد ضمّ البرج مكتبة تحتوي على أثمن المخطوطات.

8- نبع ماء البار سابا المقدس يوجد تحت الدير، في قاع الوادي حيثُ توجد 358 درجة من برج يوستنيانوس حتى مكان الماء المقدس. وقد كشف الرب مكان النبع للقديس سابا حتى مكان الماء المقدس. الذين كانوا يعانون من شدة الظمأ.

9- تبرز مقابل الدير مغاور كثيرة، يوجد على مدخل إحداها صليب وحرفاً (القديس سابا A.C)

وهي المغارة التي تنسِّك فيها البارُّ سنواته الأولى.

رئيس الدير الأعلى هو بطريرك أورشليم، ويُدار الدير من قبل لجنة مؤلفة من مُعرِّف (أب روحي)، مدبِّر (إيكونوموس) وسكرتير.

يوجد للافرا ميتوخيون (كنيسة محليّة) في حقل الرعاة في بيت ساحور، وهذه الكنيسة تخدم بعض أفراد الرعيّة المسيحية الأرثوذكسية من مواطني بيت ساحور.

القديسون الساباويون الذين عاشوا في اللافرا المقدسة للقديس سابا

1 – القديس يوحنا الدمشقي (776م).
2- القديس قزما أسقف مايوما كاتب القوانين (787م).
3- القديس أندراوس أسقف كريت، مؤلف قانون التوبة الكبير (712،726م).
4- القديس ميخائيل السنجلوس (مساعد مطران 845م).
5- القديس استفانوس العجائبي (ابن اخت القديس يوحنا الدمشقي القرن الخامس).
6- القديسان ثيوفانس وثيودروس الموسومان ووالدهما القديس يوناس (840م).
7- القديس يوحنا أسقف كولونيس.
8- القديس ثيودور أسقف إيذيسا وابن اخيه القديس ميخائيل (القرن التاسع).
9- القديس كسينوفون وولديه القديسان أركاذيوس ويوحنا (القرن السادس).
10- القديس أنطيوخوس (دفن الشهداء الذين قتلهم الغزو الفارسي للافرا سنة 614م).
11- القديس أنسطاسيوس الفارسي (القرن السابع).

12- القديس جريس التلحمي ... وآخرون.

سيرة أبينا البار المتوشح بالله سابا المتقدس

(+532م)

كتب سيرة أبينا البار سابا المتقدس الراهب الفلسطيني كيرلس البيساني(سكيثولوليس) الذي عرفه شخصياً. كان القديس سابا شيخاً جاوز التسعين وكيرللس ولداً. وقد أبدى المترجم حرصاً كبيراً في جمع معلوماته من مصادرها الموثوقة، من تلامذة القديس سابا و "رفقة الجهاد"، كما اهتم بذكر الأمكنة والأوقات والأسماء فأتت السيرة على درجة عالية من الدقة والأمانة.

الولادة والطفولة

ولد سابا في قرية صغيرة منسية من قرى قيصرية الكبادوك اسمها موتلاسكا في العام 439م، اسم والده كان يوحنا واسم والدته صوفيا. فلما بلغ الخامسة من عمره انتقل أبواه إلى الاسكندرية (لأنه كان ضابطاً في الجيش وخرج إليها للإلتحاق بالفرقة المعروفة بالإيصافرية) وتركاه في القرية في عهدة خال له يدعى هرمياس. لم يطل بسابا المقام لدى خاله لأنه كانت لهذا الأخير زوجة سيئة الطباع وأشقت الولد ففرّ إلى أحد أعمامه، على بعد أميال. ولم يشأ الرب الإله لإنائه المختار أن ينعم بالسلام في بيت عمه طويلاً لأنه كان قد أعد له سبيلاً آخر يسلك فيه، فدخل خال الصبي وعمه في خلاف حول أملاك والديه، كان من نتيجته أن فّر الصبي من جديد، ولكن، هذه المرة، إلى دير فلافيانا على بعد أربعة كيلومترات من القرية. كان قد بلغ من العمر يومها ثماني سنوات.

وهكذا بدأت الرحلة الملائكية لأبينا البار سابا المتقدس.

مراحل رهبنته

المرحلة الاولى:

أمضى سابا في دير فلافيانا عشر سنوات تلقى خلالها تدريباً صارماً على الحياة الرهبانية رغم حداثة سنه. وقد حفظ المزامير كلها عن ظهر قلب في وقت قصير ومارس ضبط النفس بأمانة. عرف كيف يقاوم الأفكار السمجة ويقطعها وكيف يرد ثقل النوم عن نفسه ويحفظ الصوم ويسلك في الطاعة ويجهد في العمل حتى قيل إنه فاق أقرانه في الدير، وكانوا في حدود الستين إلى السبعين، وأضحى بينهم مثالاً يحتذى في الطاعة والاتضاع والأتعاب.

المرحلة الثانية:

في الثامنة عشرة من عمره خرج إلى الأرض المقدسة. جاء الى القديس أفثيميوس (2/2) ورجاه بدموع أن يقبله في عداد نساكه فلم يرض لأن سابا كان حدثاً، لم تنبت لحيته بعد، وأحاله، في المقابل، على القديس ثيوكتيستوس .(16/9)وقد رأى أفثيميوس، بما له من بصيرة حسنة، ما سيكون عليه هذا الشاب فأشار على ثيوكتيستوس أن يوليه عناية خاصة كمن سيبلغ بنعمة الله، قامة سامية في الحياة الرهبانية.

بقى سابا في دير القديس ثيوكتيستوس إثنى عشر عاماً ضاهى خلالها كبار الشيوخ، في الدير، في الأصوام والسهر والأتعاب والصلوات، وفي التواضع والطاعة والصبر.

المرحلة الثالثة:

في الثلاثين من عمره سمح له القديس أفثيميوس بالنسك، فأقام في مغارة خمس سنوات. صار ينكفئ في المغارة خمسة أيام في الأسبوع يغادر الدير مساء الاحد حاملاً معه ما يحتاج إليه من سعف النخل لصنع السلال في أسبوع دون أي طعام .ثم في السبت التالي يعود إلى الدير حاملاً عمل يديه، خمسين سلة. وقد اعتاد القديس أفثيميوس أن يصحبه كل عام في خروجه إلى عمق صحراء روبا بين الرابع عشر من كانون الثاني وأحد الشعانين. وكان يسميه "الولد الشيخ."

المرحلة الرابعة:

في الخامسة والثلاثين، إثر وفاة القديس أفثيميوس، أبيه، انتقل سابا إلى البرية بين كوتيلا وروبا. بّعُدّ عن دير القديس ثيوكتيستوس، بعدما رقد الآباء الذين كانت تربطه بهم صلة قربى بالروح. انصرف إلى الوحدة الكاملة وإلى الصلاة المستمرة والأصوام، جاعلاً ذهنه مرآة لله لا عيب فيها، انسجاماً مع القول المزموري :"اسكنوا واعلموا إني أنا هو الله" (11:45).

وإذ رأى الشيطان بأية همة وشجاعة كان جهاد سابا حسده وأخذ يوجه إليه سهام تجارية عله يدخل الرعب إلى قلبه فيهج من مقامه الجديد. وذات مرة، إذ كان سابا منطرحاً على الرمل في نصف الليل، ترأي له الشيطان في شكل حيات وعقارب. ارتبك سابا للحظة ثم فطن إلى أن هذه خدعة شيطانية فرسم إشارة الصليب على نفسه وانتصب على قدميه هاتفاً: حتى ولو أمكنك أن تخيفني فستنهزم لأن الرب الإله معي، وقد أعطانا

سلطاناً عليك لما قال: ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو (لو 19:10). وإذ نطق بهذا القول تبددت الخيالات للحال.

ومرة اخرى ظهر له الشيطان بهيئة أسد هائل يتجه نحوه زائراً مهدداً فقال له سابا :"إذا كنت قد أخذت سلطاناً عليّ من الله فلا تتوان. وإذا لم يكن كذلك فلم تتعب عبثاً؟ لن تتمكن من قطعي عن الله لأنه هو نفسه ثَبّتَ قدمي بكلماته لما قال: تطأ الأفعى والثعبان وتدوس الأسد والتنين (مز 90:13 ."(هنا أيضاً، إذ تفوه سابا بهذا القول الإلهي اختفى الشيطان عنه كأنه لم يكن .ومن تلك الساعة جعل الرب الإله كل وحش سام ومفترس خاضعاً لصفيّه سابا فأضحى يعيش معها في القفر بسلام.

المرحلة الخامسة:

أمضى القديس سابا في القفر على هذا النحو أربع سنوات خرج في نهايتها جائلاً يطلب صحارى أعمق، فأتى إلى تله سبق لأبيه أفثيميوس أن وطئها. وفيما كان أخذاً في صلاة الليل مرة تراءى له ملاك الرب في حلة بهية وأراه ممراً ضيقاً ينحدر إلى سلوام جنوبي التلة وقال له :"إذا كنت ترغب حقاً في إعمار هذا القفر فامكث في هذا الموضع. تسلق الجانب الشرقي من هذا الممر فترى أمامك كهفاً لم يسبق لإنسان أن دخله. اجعل مقامك فيه والذي "يرزق الطعام للحيوان ولفراخ الغربان التي تصرخ إليه (مز 9:146) هو يهتم بك. وإذ عاد سابا إلى نفسه حدّق في المكان ثم أخذ يصعد إليه ببهجة. فلما بلغه وجده كما وصفه له الملاك فشكر الله عليه واتخذه لنفسه موئلاً. كان ذلك في السنة الأربعين من عمره.

ولما استقر سابا في المكان جعل له حبلاً يصعد وينزل عليه. وقد كان يأتي بالماء من خزّان يقع على بعد بضعة كيلومترات من الكهف. بعد ذلك بوقت قصير أتاه أربعة أعراب. وإذ لم يتمكنوا من بلوغ المغارة أنزل لهم الحبل ودعاهم إليه فلما أتوه وعاينوا خلو الكهف من كل متاع اعترتهم الدهشة وطوّبوا رجل الله على فقره وفضيلته. ولما انصرفوا عنه أخذوا على عواتقهم أن يعودوه مرة كل بضعة أيام حاملين إليه الخبز والجبن والبلح وغير ذلك مما تيّسر لهم.

هكذا اقتاد الرب الإله خادمه وهكذا دبر أمره. وقد أقام متوحداً خمس سنوات يناجي ربه ويطهر عين فكره حتى أضحى قابلاً، بنعمة الله، لمعاينة مجد ربّه كما في مرآة. فلما بلغ الخامسة والأربعين أدرك أن الساعة قد حانت لاقتبال التلاميذ ورعايتهم على ما أضحى هو نفسه خبيراً فيه. مذ ذاك أخذ طلاب السيرة الملائكية يتدفقون عليه وأخذت الأديرة والمناسك ترتفع، هنا وثمة، بعون الله وتدبيره وهمّة خادمه.

تلاميذه وأديرته

اجتمع حول القديس سابا في وقت قصير سبعون تلميذاً، عيّن لكل منهم مغارة في الجوار يقيم فيها. هناك في هذا الموضع، إلى الجهة الشمالية من وادي قدرون. تكوّن، شيئاً فشيئاً، ما عُرف في التاريخ وإلى يومنا هذا باللافرا الكبير. وقد نما عدد طلاب النسك فيه حتى بلغ، في زمان القديس سابا، مئة وخمسين.

وقد نشأت بسعي القديس سابا سبعة أديرة بقيت عامرة كلها إلى القرن العاشر للميلاد. من هذه الأديرة واحد جعله لحفظ المزامير والتمرس على مبادئ حياة التوحد وآخر للرهبان المتقدمين. أما النسك فلم يكن يسمح به إلا للمجربين ممن اقتنوا الصحو والتمييز وتواضع القلب والتخلي الكامل عن مشيئاتهم الذاتية. بالنسبة للأحداث الذين لم تنبت لحاهم بعد كان القديس سابا يحيلهم على القديس ثيودوسيوس (11 كانون 2).

كاهناً وأرشمندريتاً

لم يشأ القديس سابا أن يكون كاهناً لأنه لم يحسب نفسه مستأهلاً .المتوحدون عموماً كانوا يجتنبون الكهنوت والأسقفية اجتناباً كبيراً وبعضهم كان يقطع أذنه ليُصرف النظر عنه. وقد كان القديس سابا يقول إن الكهنوت يلعب برؤوس المتوحدين وإن الرغبة فيه هي في أساس حب السلطة لديهم.

مع هذا جعله سلّوستيوس، بطريرك أورشليم، كاهناً وهو في الثالثة والخمسين 491)م) لأن تمرداً حصل في اللافرا الكبير، وشاء البطريرك أن يثبت أبانا سابا في موقعه.

إلى ذلك وللغاية عينها أقامه البطريرك أرشمندريتاً، (لقب أرشمندريت كان يعطى لمن يرئسون جملة أديرة، فيما هو اليوم لقب فخري) قيماً على كافة النساك في فلسطين، فيما أقام القديس ثيودوسيوس قيماً على أديرة الشركة.

نبع الماء

قلنا سابقاً إن القديس سابا كان يحضر الماء، أول أمره، من مكان بعيد بضعة كيلومترات عن مغارته. فلما أخذ طلاب الحياة النسكية لديه يتزايدون صلّى إلى ربه هكذا: "أيها الرب، إله القوات، إذا كانت مشيئتك أن يعمر هذا الموضع لمجد اسمك القدوس فمدّنا بقليل ماء يعيننا". في تلك الساعة بالذات سمع طرق قدمي حمار وحشي يضرب الأرض في قعر الممر، فاسترقّ النظر، وكان القمر بدراً، فرأى حماراً وحشياً يطرق الأرض عميقاً بحافريه. فلما أحدث حفرة، رآه يطأطئ رأسه ويلعق ماء ثم ينصرف. فنزل سابا لتوّه وزاد في الحفر ففاضت المياه.

هكذا أخرج الرب الإله لأخصائه، في وسط اللافرا المقفرة، ماء كانت لا تزيد في الشتاء ولا تشح في الصيف فعزّى قلوبهم تعزية ليست بقليلة.

كنيسة بناها الله

وفي إحدى الليالي، فيما كان سابا خارج كهفه يتمشى ويتلو مزاميره إذا بعمود نار ينتصب أمامه من الأرض إلى السماء على السفح الغربي للممر، فسرت في نفسه رعدة وشمله فرح لا يوصف فردّد في نفسه ما سبق أن تفوه به يعقوب في سفر التكوين:" ما أرهب هذا المكان! ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء ."وأقام بإزاء العمود مصلياً بقية ليله، فلما لاحت تباشير الصباح تقدم بخوف وفرح عظيمين، فإذا بالموضع مغارة واسعة عجيبة لها شكل كنيسة بتفاصيلها. هذه المغارة هي التي أضحت كنيسة اللافرا، وكانت تعرف على مدى الأجيال ب " الكنيسة التي بناها الله."

الأرمن في اللافرا

وأخذت الأبنية تشاد في اللافرا هنا وثمة لأغراض شتى سداً لحاجات الجماعة. وكانت المساعدات تتدفق على القديس سابا بعدما ذاع صيته وحرك الرب الإله قلوب العباد إليه.

وقد أتاه مرة ثلاثة من الأرمن يطلبون النسك بعنايته. فلما عاين بالروح ما كانوا عليه من تقوى تهلل وعين لهم أماكن ينسكون فيها وأذن لهم، في السبوت والآحاد، أن يقيموا الصلاة بلغتهم. وقد كان لهذا التدبير الحكيم وقعه الحسن بحيث تضاعف عدد الأرمن، في اللافرا، في وقت قصير. ولكن لما انتهى اليه، بعد حين، أنهم يضيفون إلى ترنيمة " قدوس الله..." عبارة "الذي صلب من أجلنا" منعهم عنها لأن هذه الترنيمة موجهة إلى الإله الواحد في ثلاثة أقانيم لا إلى الرب يسوع المسيح منفرداً.

درس في التواضع

اعتاد القديس سابا، كل سنة، أن يعيّد للقديس أفثيميوس، أبيه، في الثاني من شهر شباط ثم يغادر اللافرا إلى عمق الصحراء، في خلوة سنوية، ولا يعود إليها إلا في أحد الشعانين. ففي إحدى هذه الخلوات، جاء إلى برية بقرب البحر الميت. وإذ رأى في البحر جزيرة صغيرة قاحلة رغب في أن يقضي صومه عليها .وفي الطريق إليها وقع، بحيلة الشيطان العزول، في موضع كانت تنفذ منه مياه البحر وتخرج بخاراً ساخناً. هذا البخار انبعث في وجهه فأحرقه وأحرق لحيته وبعض أعضاء جسده حتى انطرح أياماً لا ينبت ببنت شفه إلى أن افتقدته النعمة الإلهية فأبرأته وشدّدته في مواجهة الأرواح الخبيثة. وقد زالت كل آثار الحريق عن بدنه إلا واحدا: ضمور لحيته التي لم يبق منها غير نتف هزيلة .فلما عاد إلى اللافرا لم يعرفه الآباء إلا من صوته وحركاته. مذ ذاك اعتاد أن يشكر الله على حرمانه من لحيته لأنه قال، ما هذا سوى من فضل ربه لكي لا يكون له بِشَعرِ ذقنه اعتزاز.

في عرين الأسد

وحدث في ذلك الزمان أن الشيطان الذي لا ينام حرّك عليه بعضاً من الرهبان بلغ عددهم الأربعين. هؤلاء سعوا حسداً إلى استبدال القديس سابا بسواه لأنهم قالوا إنه لا يصلح لرعاية قطيع بهذا الحجم. فما كان منه وهو العنيد في مواجهة الأبالسة، ولكن الرفيق بالناس سوى أن أذعن لهم وغادرهم إلى ناحية بيسان في الجليل. هناك أقام في بقعة جرداء بقرب نهر قدرون، في مغارة يأوي إليها أسد ضخم هائل. وفي نصف الليل عاد الأسد إلى عرينه فألفى إنسانا أخذ موضعه، وكان سابا نائماً. فاقترب منه الأسد وعضّ على أسماله وأخذ يشدّه خارجاً. فاستفاق سابا، فابتعد عنه الأسد قليلاً، فانتصب سابا وتطلع إليه دونما وجل، ثم حوّل طرفه غير ناحية وأخذ في صلاة الليل. في تلك الأثناء خرج الأسد خارجاً وانتظر. فلما انتهى الشيخ من فرضه وعاد فاستلقى في الزاوية التي اعتاد الأسد أن يربض فيها، عاد الأسد من جديد وقبض على طرف ثوبه بأنيابه وأخذ يزيحه من مكانه باتجاه مدخل المغارة. فقال له سابا بثقة في الروح: "المغارة واسعة بما فيه الكفاية، وفيها مكان لكلينا لأن لنا خالقاً واحداً. أما أنت فإذا رغبت فبإمكانك أن تبقى ههنا، وإلا انصرف وابحث لنفسك عن مكان آخر. أما أنا فقد صنعني الله بيده وشرفني بصورته." فلما سمع الأسد ذلك طأطأ الرأس كمن الخجل وانصرف عنه.

مؤامرة الرهبان عليه

وعاد القديس سابا إلى اللافرا بعد حين ليكتشف أن الأربعين الذين قاوموه أضحوا ستين فتألم وبكى لحالهم بكاءً مراً وعجب كيف يجتذب الشر المتهاونين دونما مشقة. وقد أبدى، أول أمره، صبراً إزاء غضبهم عليه ومحبة إزاء كرههم له. ولما اشتدت وقاحتهم واستبد بهم الغيظ تركهم من جديد وارتحل إلى ناحية نيكوبوليس حيث أقام تحت شجرة خروب. كل ذلك كان بتدبير من الله لأن المكان الجديد الذي لجأ سابا إليه ما لبث أن تحول إلى دير للشركة.

وإذ طال غياب قديسنا عن اللافرا قام المتمردون يشيعون عنه أنه أثناء جولاته في البرية افترسته الوحوش الضارية. فقام المتآمرون بنفس واحدة وجاؤوا إلى إيليا، رئيس أساقفة أورشليم، مطالبين بتعيين رئيس آخر عليهم بحجة أن شيخهم مفقود وأن الأسود أكلته، فلم يصدقهم بل قال لهم: "ابحثوا عنه حتى تجدوه وإلا الزموا الصمت حتى يكشف الرب الإله لكم ما لا تعلمون."

وما أن قرب عيد تكريس كنيسة القيامة وكانت العادة أن يأتي إليه كل رؤساء أديار فلسطين حتى أطلّ سابا مصحوباً بعدد من رهبانه من دير الشركة الجديد في نيكوبوليس. فلما رآه رئيس الأساقفة فرح به وطلب منه بإلحاح أن يعود إلى دير اللافرا فأذعن. وقد وّجه رئيس الأساقفة إلى الرهبان رسالة حثهم فيها على الخضوع لرئيسهم وأمر الذين لا يمتثلون أن يخرجوا. فلما بلغ المتمردين خبر ذلك أرغوا وأزبدوا، وقاموا ونهبوا ما طالته أيديهم وكسروا وحطموا ثم خرجوا يطلبون ديراً جديداً.

ولم يمض وقت طويل حتى عرف سابا بمكان إقامة المتمردين فأخرج البهائم وحمّلها مؤناً وطلب وجههم. فلما جاء إليهم وجدهم محتاجين منقسمين فرقّ لحالهم. وإذ عادهم بعد حين حمل إليهم أغراضاً ومواد بناء وكان معه فريق من العمال والحرفيين. وقد أمضى بينهم خمسة أشهر إلى أن أتم بناء كنيسة وفرن وجهزهما بما يلزم. كان قد بلغ آنذاك من العمر تسعة وستين عاماً.

يعقوب المتمرد

وبرز بين رهبان اللافرا واحد اسمه يعقوب رغب، بمشيئته الذاتية، أن يؤسس لافرا جديدة في الطريق إلى اللافرا الكبيرة، على بعد حوالي أربعة كيلومترات منها. وإذ بدا أن الموضوع مثار جدل بين الرهبان، تمسك يعقوب وبعض أتباعه بموقفهم وخرجوا فبدأوا العمل. فلما عاد سابا وكان في خلوته السنوية أخبره الآباء بما جرى فدعى يعقوب وَلّفَته إلى أن هذا العمل لا يرضي الله، وطلب منه أن يتوقف عنه فلم يشأ فقال له :"كيف يمكنك وأنت لا تملك على أهواء نفسك وجسدك أن تعمل على تنشئة آخرين؟...يا بني إني معطيك نصيحة تنفعك، فإذا أصررت على التمرد فستعلم بالخبرة أن الشرير هو الذي يطلب التمرد والرب مطلق عليه ملاكاً لا يشفق (أمثال 11:17) ولما قال سابا ذلك تركه وانصرف عنه.

وما إن خرج قديسنا من المكان حتى استبدت بيعقوب قشعريرة وحمى وعانى من المرض سبعة أشهر. فلما تمت أيام مرضه يئس من نفسه وبات مشرفاً على الموت فطلب أن يُحمل إلى كنيسة اللافرا وأن يوضع عند قدمي الشيخ القديس. فلما أتوا به إليه سأل الصفح قبل أن يموت فقال له الشيخ: "أعرفت الآن عاقبة المعاندة واتباع المشيئة الذاتية؟ هل تعلمت من استكبارك؟" فأجابه "سامحني يا أبي" فقال له "ليسامحك الله". وإذ مدّ إليه سابا يده أقامه وأمره أن يتناول من القدسات، فلما فعل استرد للحال عافيته فأكل وتشدّد. مذ ذاك صرف النظر بالتمام عن مغامرته.

يعقوب وصحن الفول

وحدث أن أوكلت إلى يعقوب، بعد حين، إدارة المضافة، وكان عليه أن يعد الطعام للذين يخرجون إلى الصحراء ليجمعوا حطباً. وإذ كان، مرة، قد طهى كمية من الفول زادت على حاجة الموكلين إليه، عمد إلى إلقاء ما فضل من النافذة، فلاحظه سابا فنزل من قلايته بهدوء وجمع بعناية ما تبعثر من حبات الفول ونثرها على صخرة حتى يبست ثم جمعها وحفظها لديه إلى وقت مناسب.

ومرت أشهر أشرف بعدها يعقوب على نجاز نوبته في المضافة فدعاه الشيخ إليه وتبّل له صحنا من الفول تتبيلاً جيداً. وفيما جلس الاثنان إلى الطعام قال البار ليعقوب :"اغفر لي، يا أخي، لأني لا أعرف جيداً أن أُتبل الفول، ولعلك لم تستسغه" فأجاب :"بل هو

لذيذ جداً. في الحقيقة لم أذق طبيخاً طيباً كهذا منذ زمان بعيد"، فأردف الشيخ:" صدقني يا ولدي، هذا هو الفول الذي ألقيت به من النافذة. ألا اعلم أن من لا يعرف كيف يصلح وعاء من الطبيخ سداً لحاجات الذين في عهدته دون أن يضيّع منه شيئاً لا يصلح لأن يكون رئيساً. وقد قال الرسول:" إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله (1 تيمو 5:3)." فخرج يعقوب من عنده منتفعاً.

الخمر والطبيخ المر

وجاء إلى سابا مرة صديق عزيز عليه فأمر المضيف أن يُعد عشاء. وكان هناك اثنان من رؤساء الأديار أيضا. فلما جلس الجميع إلى المائدة طلب الشيخ خمراً فقيل له إنه قد نفذ ولكن يوجد خلّ. فقال احضروا وعاء الخل إلى هنا. "مبارك الرب القادر على أن يفرّح قلوبنا لأن المسيح الإله الذي سبق فحول الماء خمراً قادر على أن يحول الخل أيضاً. ولما قال هذا قال قدموا من الخمر فقدموا فوجدوا الخل قد استحال في أفواههم خمراً جيداً. فقال الشيخ: "هاتوا فحماً وبخروا لأن الرب الإله قد أتانا في هذا الساعة زائراً."

ومرة أخرى أصلح الطباخ لبعض العمال طبيخاً. فلما حان وقت العشاء ذاق فألقاه مراً فارتبك لأنه لم يكن له شيء آخر يقدمه. فأسرع إلى الشيخ وارتمى عند قدميه ثم أعلمه بما جرى، فجاء الشيخ ورسم إشارة الصليب على الطعام وقال للطباخ: "مبارك هو الرب الإله. خذه وقدمه." فأخذه وقدّمه فأكل منه العمال، فكان لذيذاً طيباً.

الأسد والحمار والخطيئة

فيما كان الشيخ، مرة، مسافراً من صحراء روبا إلى أحد الاديرة في الأردن التقى أسداً ضخماً يعرج. وإذا بالأسد يدنو من القديس ويهوي عند قدميه ثم يرفع كفه ويريه إياه، وبحركة وأنه يستغيث. ففهم الشيخ وجلس بقرب الأسد ثم أخذ بكفه ونزع منها شوكة انغرزت فيها عميقاً، فانفرج غم الأسد وقام فانصرف. مذ ذاك اعتاد الأسد اللحاق بالشيخ خلال موسم الصوم الكبير ليحفظه ويخدمه. وهكذا نمت بينهما ألفة طيبة.

في ذلك الوقت كان للقديس تلميذ سوري اسمه فلافيوس اقتنى لنفسه حماراً في برية روبا لقضاء حاجاته. وقد اعتاد سابا كلما أوكل إلى فلافيوس أمراً أن يستدعى الأسد ليلاحظ الحمار. فكان الأسد في الصباح يقبض على رسن الحمار بفكيه ويسوقه إلى المرعى النهار كله، ثم يأخذه عند العصر إلى السقاية ومن ثم يعيده إلى مكانه.

استمر الأسد على ذلك زماناً إلى أن كان يوم أرسل الشيخ فيه فلافيوس في مهمة. ويبدو أن هذا الأخير استهان بحفظ نفسه فأخذه روح الادعاء والاستكبار حتى وقع في الزنى.

في تلك الأثناء كان الأسد كالعادة يحفظ الحمار. فلما سقط فلافيوس في الخطيئة وغادرته النعمة، في تلك الساعة بالذات انقض الأسد على الحمار فافترسه. فلما عاد فلافيوس إلى صحرائه عرف بما جرى فأيقن للحال أن السبب هو خطيئته، فسقط وجهه ولم يجرؤ على الوقوف أمام الشيخ، بل قام فانصرف إلى دياره بعيداً وأخذ ينتحب على خطيئته.

أما القديس فعرف بالروح ما جرى لتلميذه فتألم من أجله كثيراً وأخذ يبحث عنه حتى وجده فوعظه وأعاد الرجاء إلى نفسه. وبنتيجة ذلك أقفل فلافيوس على نفسه في توبه عميقة زماناً حتى أرضى الله إرضاء كبيراً

وحل بالبلاد، قرابة السنة 516م، جفاف عظيم وملأ الجراد الأرض حتى أتى على الأشجار، فضربت الناس المجاعة ومات العديدون.

في ذلك الوقت حثَ الشيخ رؤساء الأديار التابعة له على التذّرع بالصبر وألا يقلقوا. ذكرهم بالقول :"لا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس لأن أباكم السماوي يعلم أنكم محتاجون إلى هذه كلها. بل اطلبوا أولاً ملكوت السماء وكل ذلك يزاد لكم: (متى 6: 31-33). وبالفعل قضى الله كل حاجة من حاجات الجماعة فيما افتقر الأغنياء وجاعوا كما قال المرنم في المزمور (10:33). ودونك هذه الحادثة بياناً لعناية الرب الإله بأخصائه.

جاء حافظ المخزن، في اللافرا الكبير، يوماً، إلى الشيخ وقال له :"لا نستطيع يا أبي أن ندق الناقوس، هذا السبت والأحد، لأنه لا شيء عندنا، ولا حتى ماء لحلق الآباء إذا التأموا". فأجابه الشيخ: حاشا لي أن أحُول دون إقامة القداس الإلهي. فإذا نقصك شيء مما نحتاج إليه فليُبيع إناء من الآنية الثمينة التي لدينا ولتكمّل الخدمة. ولكن أمينٌ هو الذي قال :"لا تهتموا للغد."

ثم إنه، في يوم الجمعة، وصل إلى اللافرا قوم من المدينة المقدسة بمؤن على ثلاثين بهيمة، خمراً وخبزاً وحنطة وزيتاً وعسلاً وجبناً، حتى ملأوا مخزن الدير. فقال الشيخ لحافظ المخزن:" ماذا تقول، يا أيها السيد الحافظ؟ أنمتنع عن ضرب الناقوس لأنه ليس للآباء ماء يبلون به حلقهم؟" فثاب حافظ المخزن إلى رشده وقام فارتمى عند قدمي الشيخ وسأله المغفرة. فباركه الشيخ وقال له: "إياك والشك، بل تشدّد بالإيمان والقِ على الرب همّك وهو يعولك."

مرتان إلى القسطنطينية

هذا وقد زار القيس سابا مدينة القسطنطينية مرتين في حياته. في المرة الأولى، سنة 511م، كلفه إيليا، رئيس أساقفة أورشليم، بالوقوف بين يدي الامبراطور أناستاسيوس (491 – 518) ليُثبت الإيمان الأرثوذكسي، لأن أناستاسيوس كان على المونوفيسيتية

(القول بأن ليسوع المسيح طبيعة واحدة لا طبيعتين، إلهية وبشرية، كما تقول الكنيسة الأرثوذكسية) وكذلك ليلتمس منه بعض الامتيازات المالية لصالح كنيسة أورشليم. أما في المرة الثانية، سنة 530م، فمثل لدى الامبراطور يوستنيانوس (527 – 565)، بناء لطلب رئيس الأساقفة بطرس، ليسأله الدعم والحماية وإعفاء إقليمي فلسطين الأولي والثانية من الضرائب بعد النكبة التي حلت بهما بسبب ثورة السامريين الدامية. وقد تكللت مهمة القديس سابا، في كلتا الحالتين، بالنجاح.

دفاعه عن الإيمان

ثم إن الصراع بين الفريقين الأرثوذكسي والفريق المونوفيسيتي احتدم حتى إن اصحاب القول بالطبيعة الواحدة استمالوا أناستاسيوس الإمبراطور إليهم فعمد إلى طرد البطريرك إيليا الأورشليمي من كرسيه واستبدله بآخر يدعى يوحنا. على الأثر نزل الرهبان، بناء لإيعاز القدّيسين سابا وثيودوسيوس، إلى المدينة المقدسة ليحملوا رئيس الأساقفة الجديد على الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي والقول بالطبيعتين. وقد ذُكر أن عدد الرهبان الذين اشتركوا في التظاهرة، آنذاك، بلغ قرابة العشرة الآلاف. وقد وقف البطريرك الجديد والقديسان سابا وثيودوسيوس، إلى يمينه وإلى يساره أمام ممثلين إمبراطوريين فأبسلوا بصوت واحد كل من لا يقبل بالمجمع المسكوني الرابع الخلقيدوني (451)، من نسطوريوس إلى أوتيخا إلى ساويروس إلى سوتيريخوس القيصري، كما رفع سابا وثيودوسيوس، باسم الرهبان، عريضة جريئة إلى الامبراطور في هذا الشأن.

رقاده

كان رقاد أبينا القديس سابا يوم السبت في مثل هذا اليوم من عام 532م، عن عمر يناهز الرابعة والتسعين. عرف، في رؤيا، يوم فراقه قبل ذلك بأيام .استدعى آباء اللافرا وسمى عليهم رئيساً بعد وفاته، القديس ماليتا البيروتي، وأكد ضرورة حفظ التراث الذي زرعه بينهم وسلمه إلى الرئيس الجديد كتابة. ثم بعدما اشترك في القدسات أسلم الروح .كلماته الأخيرة كانت :" يا رب، في يديك استودع روحي."

هذا ويبدو أن عدداً كبيراً من الظهورات والعجائب جرى بعد رقاده وقد سجل مترجمة، الراهب كيرللس البيساني، بعضاً منها. كما بقى جسده سالماً من الانحلال. أودع اللافرا إلى أن اختلسه الصليبيون ونقلوه إلى البندقية. وقد تمت إعادته إلى ديره في تشرين الاول من السنة 1965.

في هذه اللافرا التي أسسها القديس سابا أزهر العديد من الآباء القديسين على مدى الأيام، أمثال القديس يوحنا الدمشقي و قوزما، أسقف مايوما، واستيفانوس السابائي المعروف واندراوس الكريتي وسواهم. كما بقي الدير قلعة أرثوذكسية جيلاً بعد جيل،

وإليه يعود أقدم تيبيكون جمع القواعد التي تضبط الخدم الليتورجية في العبادة. و هذا يُعد القديس سابا شفيعاً لمرضى السرطان والعقم وعدم الإنجاب. ويعيد له في الخامس من شهر كانون الأول.

طروبارية القديس (اللحن الثامن)

إن البرية الجدباء بهطل دموعك أخصبت. وأتعابك الشّاقة بتصعيد زفراتك أثمرت إلى مائة ضعفٍ. فأصبحت كوكباً للمسكونة يتلألأ بالعجائب، يا أبانا البار سابا. فتشفع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا.

قنداق القديس (اللحن الثامن)

لقد قرّبت نفسك بالفضيلة منذ الطفولة ذبيحةً لا عيب فيها لله العارف بك من قبل أن تولد أيها المغبوط سابا. فأصبحت زينة للأبرار تستحق المديح بسكنى البرية فلذلك أهتف نحوك قائلاً: السلام عليك أيها الأب السعيد الذكر.

القديس يوحنا أسقف كولونيس

ولد القديس يوحنا في مدينة نيكوبوليس بأرمينيا عام 454م. في زمن حكم الملك مرقيانوس، بعد وفاة والديه، قام ببناء معبد على اسم والده الإله. كذلك أَسَّسَ ديراً صغيراً للنسّاك، فانضم إليه ستة من الرهبان وبعدها عشرة آخرين، وأما ميتروبوليت سبسطيه عندما سمع بأعماله الحسنة، عينه أسقفاً على كولونيس، ومع هذا، استمر يوحنا داخل أسقفيته، بالعيش حياة التقشف والخشونة، وبعد أن قام بتحسين وضع أسقفيته، ورفع شأنها وإصلاح أمورها، قَدِمَ إلى الأراضي المقدسة.

وفي إحدى الليالي، وأثناء إقامته في الدينة المقدسة في أحد ملاجئ العجزة، رأى نجماً ساطعاً وسمع صوتاً قائلاً له :"إذا أردت أن تخلص، اتبع هذا النجم المضيء". فخرج ولحق بالنجم حيث يسير فأرسله النجم إلى اللافرا الكبرى للقديس سابا، وكان هذا في عهد البطريرك الأورشليمي ساليستوس.

ومن المعروف عن القديس سابا أنه كان يتمتع بموهبة النبوءة، إلا أن الله لم يسأ أن يُظهر لأبينا البار سابا المتقدس عظمة هذا القديس. فعندما جاء اليه القديس يوحنا أسلمه إلى مدبّر ديره ليتدرب على يديه. ولأنه سرعان ما أظهر سرعة بديهة وحكمة

وتواضع وطاعة، رغب القديس سابا بأن يعلنه كمتقدم على الأخوة. فأخذه معه وقدّمه للبطريرك إيليا، وهناك دعاه وأعلنه متقدماً، وأراد أن يسميه كاهنا. وعندما رأى يوحنا، بأنه لا يستطيع أن يخفي نفسه أكثر من ذلك، طلب الحديث مع البطريرك منفرداً والاعتراف بخطاياه قبل سيامته، وعندما اختلى بالبطريرك ايليا، باح له بسره وقال له، بأنه أسقف كولونيس وأنه لا يجوز أن يسام مرتين ورجاه أن يحفظ سره لكي لا يضطره أن يغادر الدير، وعندما قال البطريرك للقديس سابا، بأنه لا يجب أن يصبح يوحنا متقدماً أو كاهناً. فاعتقد القديس سابا بأن يوحنا قد ارتكب إثماً كبيراً يمنعه أن يصبح كاهناً. فأخذ القديس سابا يصلي إلى الرب أن يسامح يوحنا وأن يعلمه لماذا لا يستطيع ان يعلنه كاهناً أو متقدماً ، وسرعان ما سمع صوتاً ملائكياً قائلاً له: "لا ليس نافعاً، ولا يحق لك أن تشرطنه كمتقدم".

بعد هذا الحدث توجه القديس سابا صوت فلّاية يوحنا وعندما وصله قال له: "أيها الأب يوحنا أنت بالرغم أنك أتيتنا كهدية من الله، أخفيت نفسك عنّا، فإن الرب أظهرك لي. فأجابه القديس يوحنا: "سامحني يا أبي، فلما أردت أن يعلم أحد بهذا السر، وكذلك لا أستطيع بعد أن كشف أمري أن أبقى ساكناً في هذا المكان".

أما القديس سابا فقد وعده بألا يُعلم أحداً بهذا الأمر، فبقي في الدير.

وفي أحد الأيام كان القديس يوحنا سائراً في البرية يجمع الأعشاب، فضلَّ الطريق، لكن العناية الإلهية قادته إلى داخل مغارة كان يعيش بداخلها تلميذٌ. وهذا التلميذ رغب بأن ينتقل إلى اللافرا قبل حلول عيد الفصح، ليشارك الآباء العيد لأنه لم يبقَ في المغارة سوى الأعشاب. أما القديس فامتنع عن إعطائه البركة مما اضطره أن يغادر المكان طوعياً، ولكنه ضلَّ الطريق وقَفِل راجعاً إلى شيخة وهو يتضور جوعاً. فوجد أمامه داخل المغارة خيرات وفيرة، كان قد أتى بها أحد المارة المجهولين. أما القديس فَرَقَّ قلبه على تلميذه وقال له: "ليكن معلوماً لديك، بأن الله قادر أن يهيئ لك مائدة في البرية".

فتلميذ هذا كان يدعى ثيودوروس وكان قد اصطحب معه أحد المنشقين الذين يعتقدون بالمشيئة الواحدة للمسيح وخاطب القديس قائلاً له : "باركنا أيها الأب". لكن القديس يوحنا أجابه قائلا: "لن أبارك هذه غير مُبارَك". فتعجب المنشق من نظرة القديس له، فذهل وأخذ على عاتقه أن يتراجع عن مساره السابق وأن يعود إلى الكنيسة الأرثوذكسية.

أما القديس يوحنا فعانى الكثير من المخاطر والاضطهاد من العُصاة في الدير وجاوز عمره لمائة عندما رقد بالرب بسلام ولا تزال رفاته محفوظة في اللافرا المقدسة.
ويعيَّد لذكرى وفاته في الثالث من كانون الأول.

القديس يوحنا الدمشقي (مجرى الذهب)

ولد منصور بن سرجون وهو اسم القديس يوحنا حوالي سنة 675 م في دمشق، عاصمة الأمويين آنذاك، من عائلة عريقة وغنية، عُرفت بفضيلتها ومحبتها للعلم وبمكانتها السياسية والاجتماعية، إذ إن سرجون، والد يوحنا ومنصور جده، كانا يعملان على إدارة أموال الخلفاء الأمويين وعلى جمع الخراج من المسيحيين. وعلى ما يبدو أن منصور، في مطلع شبابه، قد شَغِلَ هذه الوظيفة لمدة من الزمن.

حصل منصور منذ نعومة أظافره على ثقافة أدبية وفلسفية ودينية مهمة: فقد ذكرت لنا سيرته أن معلمه كان راهباً من جزيرة صقلية، من أسرى الحرب اشتراه والده ثم حرّره (أعتقه) وعَهِدَ إليه بتعليم ابنيه: أولهما منصور والثاني قزما ابنه بالتبني. وقد أتقن اليونانية، لغة الطبقة الراقية من كبار المتعلّمين، واللغة السريانية، لغة الشعب المستعملة في الليتورجيا ورغمّ أن كل كتاباته التي وصلت إلينا كانت باليونانية فمن المؤكد أنه كان يعرف العربية أيضاً لغة عائلته الأصلية.

وما أن توفيَ سرجون، والده، حتى أخذ هذا الأخير مكان أبيه في إدارة أموال الدولة، بينما انتحل قزما معلّمه وقزما أخوه بالتبني الحياة الرهبانية في سيق مار سابا. ثم ما لبث منصور -وكان قد بلغ حوالي الثلاثين من عمره- ولأسباب نجهلها وقد تكون سياسية - أن ترك مركزه والتحق بمعلمه قزما وبأخيه إلى سيق مار سابا أيضاً. فأحب هناك الحياة النسكية وراح يتعمق في اللاهوت على يد البطريرك الأورشليمي يوحنا الرابع (706-734) الذي كان يطلبه غالباً لإلقاء المواعظ والخطب في أورشليم. وهناك اتخذ اسم يوحنا - ربما تيمناً بأستاذه البطريرك-.

ان القديس يوحنا الدمشقي لما دخل اللافرا المقدسة للقديس سابا أظهر استعداداً للخضوع لقوانين الدير التي كانت تُطلب من كل رجل مبتدئ، أن يوضع في بادئ الأمر تحت التجربة وأن يسلم لإرشاد رجل شيخ خبير في العيشة الروحية. ولكن جميع الشيوخ الموجودون في اللافرا تمنّعوا من أن يقبلوا تحت التجربة ذاك الذي كان وقتاً ما، عالماً ومتطلّعاً على الأمور العالمية والذي أظهر غيرة مضطرمة على الإيمان الأرثوذكسي واشتهر بجميع العالم بتمدُّنه وما عليه من العلوم والثقافة. على أنه وجد أخيراً راهباً شيخاً وحكيماً في الارشاد الى الحياة الروحية. فهذا الشيخ عزم أن يقبل يوحنا كتلميذ في قلايته. وحدث أنّ هذا الشيخ أمر مرة تلميذه الجديد ألّا يعمل شيئاً دون أخذ بركته ويكون دون انقطاع منعكف على الصلاة ويبكي على خطاياه السالفة، وأن يتمرن على الأشغال الجسدية وينسى العالم، وينزع من نفسه كل تفكير بالأشياء العالمية، ويحفظ عقله من الكبرياء والعجرفة ولا يتفكر بحكمته ومعارفه ولا يحسب ذاته كاملاً، ولا يشتهي رؤى أو اعلانات سرية، وان يسهر على جميع أفكاره. وقد أوصل الشيخ مطالبه الصارمة إلى حد أنه منعه ليس فقط عن الكلام مع الغير، بل عن الكتابة أيضاً. وقد أنكر يوحنا حريته وأظهر خضوعاً تاماً ونكران نفس إذ كان يطلب في كل شيء بركه الشيخ وإذنه وكان الشيخ ساهراً على تلميذه مراقباً أعماله. ثم اتفق بعد مدة من الزمان أن توفي أخ لأحد الرهبان في الدير، فصار الراهب يبكي بمرارة، ويندب فقيده، ويطلب من يوحنا الدمشقي بإلحاح أن يؤلف له ترنيمة روحية آملاً أن يعزّي نفسه ويُسَكِّن حزنه بترتيلها.

وكان يوحنا يتمنّع عن تلبية هذا الطلب استناداً على منع الشيخ له. وبمقدار ما كان يتمنع، كان الراهب يزداد إلحاحاً متضرعاً الى يوحنا أن يُخفِّف حزنه العميق على أخيه. وأخيراً آثر يوحنا حاسة الشفقة والحنوّ على الراهب، فانسكبت من قلبه المتأثر تلك الأناشيد المؤثرة التي لا تزال تُتلى على الراقدين إلى يومنا الحاضر. وأخذ يوحنا نفسه بصوت حنون يرتل ترانيمه هذه المعزّية. وحدث أن الشيخ في هذا الوقت كان راجعاً إلى قلايته فتعجّب عندما سمع فيها ترتيلاً ودُهش بالأكثر، عندما رأى ان الذي كان يرتل هو يوحنا. فغضب عليه لأجل عدم طاعته هذه وطَرَده من عنده دون أن يرثي له عندما كان يتضرّع له جاثياً على ركبته وساكباً الدموع يطلب من الشيخ الصفح. وتذكر إذ ذاك يوحنا المطرود من القلاية، طَرْدَ آدم من الفردوس. ووقف عند باب القلاية وصار يبكي لا يعلم ماذا يعمل. فالتجأ الى بعض الآباء الرهبان الحائزين

على كرامة في اللافرا المقدسة، وطلب شفاعتهم أمام معلّمه. فتضرع الآباء كثيراً الى الشيخ المضطرم غضباً ملتمسين منه أن يسامح تلميذه، وبالجهد أقنعوه ان يفرض ليوحنا قانوناً. فلبّى الشيخ طلبهم، لكنه عيّن ليوحنا قانوناً ثقيلاً بهذا المقدار، حتى أن الآباء أنفسهم خجلوا منه. فاشترط على يوحنا أن يغسل بيديه مراحيض الدير. فقبل يوحنا القانون طائعاً دون تذمر. وأسرع بتتميمه فأخذ بيديه المجرفة والأدوات الضرورية وأقبل على هذا العمل المهين. فتواضُع وطاعة تلميذٍ كهذه أثّرت بالشيخ بهذا المقدار حتى أنه أوقفه عن هذا العمل للحال، وقبّل رأسه وكتفيه ويديه بفرح قلبي ودموع وقال له: "يا لك من ابن طائع متألم بالمسيح قد ثقفته أنا. فإنَّ طاعتك قد انتهت وقد أكملت جهادك".

فعند هذه الكلمات أخذ يوحنا بيده وأدخله إلى قلايته. فبعد مثل هذا النموذج العظيم في الطاعة الذي أكمله يوحنا، سمح له معلمه الشيخ أن يكتب بحرية ما شاء وأن يتنقل إلى قلاية منفردة وحده.

في حوالي السنة 725، قامت بدعة تحارب تكريم الأيقونات المقدسة. مدعية أن هذا التكريم إنما هو عبادة وثنية 3. فهبَّ يوحنا بكل ما لديه من قوة وثقافة يدافع عن التمسك بالسجود للأيقونات المقدسة موضحاً أن هذا السجود إنما هو مجرد تكريم للأشخاص الممثلة في الأيقونات، وليس هو على الإطلاق عبادة الصور. وقد فعل كل ذلك، "رغم أنه لم يكن بعد من ذوي مراتب البيعة المقدسة".

وفي هذا المجال، تسرد لنا سيرته أن لاون الملك، ماقت الأيقونات المقدسة، لحقده على يوحنا اتهمه زوراً بالخيانة، مما سبب له قطع يده. فما كان من يوحنا إلا أن دخل غرفته "وطرح على الأرض كلية جسده قُدام أيقونة السيدة المجيدة، ذات الشفاعات غير المردودة، وألصق كفه المقطوع إلى زنده وتوسّل إليها من قعر قلبه، وفاضت عيناه دموعاً محرقة منحدرة على صدره، قائلاً: أيتها السيدة القديسة الطاهرة والدة إلهنا الكلمة الأزلية، بتجسده من دمائك النقية لمحبته الجزيلة لجنس البشرية، أسألك أن تتوسلي إليه من أجلي... لكي تردي يدي إلى ما كانت عليه أولاً كاملة، صحيحة من كل ألم وقطع، معافاة، وتظهري عبدك جزيل تحننك لكي ما يبطل لساني ما عشت من مديحك، لأنك قادرة على ما سألتكِ". وللحين غفت عيناه فرأى المتحننة بشكلها وهيئتها ناظرة إليه بطرفها وقائلة له: قد عُفيت يدك، فأنجز لإلهك نذرك، ولا تؤخر عهدك. فاستيقظ بفرح مسرور، ونهض واقفاً على رجليه، مصلياً شاكراً. وترنم للوقت بما يلائم سرعة إجابته في توسله وكما عافيته لساعته". وأيقونة العذراء ذات الأيدي الثلاث هي رمزاً للأعجوبة المذكورة. و تحتفظ اللافرا المقدسة ليومنا الحاضر بنسخة عن هذه الأيقونة في كنيسة القديس يوحنا الدمشقي.

وعلى أساس تلك الحملة التي شنّها يوحنا ضد ماقتي الأيقونات المقدسة، واضعاً أسساً ثابتة ونهائية لهذا التكريم، عقد الإمبراطور قسطنطين (كبرونيم) مجمعاً سنة 754، تغيّب عنه أهم المدعوين (بطاركة الإسكندرية وأنطاكية وأورشليم) حيث رفض الحاضرون رفضاً قاطعاً تكريم الأيقونات المقدسة وقرّروا أن كل من يخالف ذلك يعتبر

متمرداً على وصايا الله وعدواً مخالفاً للعقائد المحددة في مجمع (هييرا) هذا المؤلف من 338 أسقف، ثم حرموا أشهر الذين دافعوا عن هذا التكريم أي جاورجيوس القبرصي و جرمانوس القسطنطيني ومنصور بن سرجون (يوحنا الدمشقي).

إلا أن المجمع النقاوي الثاني 787 (المجمع المسكوني السابع)، بعد أن تبّت تكريم الأيقونات المقدسة، أعاد لهؤلاء المحرومين في مجمع هييرا اللصوصي سنة 754، كرامتهم "رحمة أبدية لجرمانوس ويوحنا وجاورجيوس، أبطال الحقيقة... إن الثالوث قد مجّد ثلاثتهم" .

وكان يوحنا ينزوي في صومعته، في سيق مار سابا يؤلف مع أخيه قزما الترانيم والقوانين الدينية التي لا تزال الكنيسة تترنم بها إلى يومنا هذا. وكانت قريحته فيّاضة لدرجة أنه استحق أن يُدعى فيما بعد بـ "مجرى الذهب". ثم شاءت العناية الإلهية أن يُنتخب قزما أسقفاً على مايوم، المعروفة اليوم بميلمس (قرب غزة)، وطُلب مراراً إلى يوحنا أن يُرتسم كاهناً. وكان في كل مرة يرفض، إلى أن "استحضره بطريرك البيت المقدس وسامه قسيساً بغير مراده، بل بكثرة الزامه إياه غلبه على رأيه. ولما عاد من عنده إلى السيق زاد في نسكه وأتعابه. وانعطف إلى تصنيف أقواله التي سرت إلى أقصى المسكونة".

توفي القديس يوحنا الدمشقي على الأرجح سنة 749م في اللافرا المقدسة ، بعد أن قضى حياة طويلة في النسك والتأليف. فدفن هناك وبقي قبره معروفاً ومكرماً حتى القرن الثاني عشر. ومن ثم نُقلت عظامه، على ما يبدو، إلى القسطنطينية. أما اليوم فإنها موجودة في إحدى الكنائس في كييف. وتحتفظ اللافرا المقدسة ببعض من ذخائره و بجزء من عظام فكه السفلي. وما كاد يموت حتى ذاع صيت يوحنا الدمشقي فأخذ الشعب في تكريمه وإنشاء تأليفاته الليتورجيا والرجوع إلى كتبه اللاهوتية. تُعيّد له الكنيسة الأرثوذكسية في الرابع من كانون الأول.

مؤلـفاته:

1 – أول ما نبدأ به سرد تآليفه في اللاهوت، وفي مقدمتها الموسوعة اللاهوتية التي هي من أشهر مؤلفاته وقد أسماها **ينبوع المعرفة**. ألّف يوحنا هذا الكتاب في أواخر حياته، بعد سنة 742م. وذلك تلبية منه لطلب أخيه بالتبني قزماً، أسقف مايوما. ويقسم يوحنا مؤلفاته هذا إلى ثلاثة أجزاء:

أ – الجزء الأول هو **علم الفلسفة والمنطق**، يعطي فيه المؤلف القديس أهم التحديات الفلسفية حسب أرسطو وآباء الكنيسة، ويشرح دور الفلسفة بالنسبة للاهوت ويتألف هذا الجزي من 52 فصلاً.

ب- ويتضمن الجزء الثاني **تاريخ الهرطقات وما قضيتُها**. وهو مستوحى من ابيفانوس وغيره من الآباء.

ج- أما الجزء الثالث فيدعى كتاب **المائة مقالة في الايمان الأرثوذكسي** وهو يتضمن عرضاً لأهم عقائد الايمان المسيحي : الله الواحد، الأقانيم الثلاثة، الخلق، الملائكة،

العالم، الانسان، سر الخلاص أو التجسد الالهي، الايمان، قيامة الأموات، تكريم القديسين والأيقونات...

2- مختصر الأمانة الأرثوذكسية

كتبه يوحنا لإيليا، مطران يبرود، ليقدمه هذا الأخير كشهادة اعترافٍ بالإيمان القويم إلى بطرس مطران دمشق.

3- مقالة عن الثالوث الأقدس

وهي على طريقة السؤال والجواب.

4- مقالة عن قدوس قدوس قدوس

وخي موجهة إلى الأرشمندريت يورذانوس، حيث يبين يوحنا أن هذه الصلاة موجهة إلى الأقانيم الثلاثة وليس إلى الابن وحده.

5- مقدمة عامة عن العقائد

كتبها القديس يوحنا، أو بالأحرى جمعها عن تلاميذه في أول حياته في دير مار سابا.

6-8 ثلاث مقالات للدفاع عن الايقونات المقدسة، كتبها القديس بين سنتي 726 و 730 م.

9- مقالة ضد أسقف يعقوبي

يرفض فيها يوحنا آراء اليعاقبة ومبادئهم خاصة قولهم أن في المسيح طبيعة واحدة.

10- مقالة ضد المانوية

وهي بشكل حوار بين أرثوذكسي ومانوي لإظهار أخطاء الثنائية. أي المذهب الثنائي القائل بوجود مبدأ للخير ومبدأ للشر، كما النور والظلام وهما في صراع مستمر على هذه الأرض.

11- جدال بين مسلم ومسيحي

يدافع فيه الدمشقي عن عقيدة التجسد ويرفض نظرية القضاء والقدر.

12- مقالة ضد الساحرات

ومقاطع هذه المقالة تعطينا فكرة عن انتشار السحر والساحرات في عصر يوحنا.

13- مقالة في الطبيعة المركّبة

هي رفض لآراء القائلين بأن للمسيح إرادة واحدة.

14 مقالة في أن للمسيح إرادتين

وهي بالطبع رد على القائلين بأن للمسيح إرادة واحدة.

15- مقالة ضد النساطرة

بأن للمسيح شخصين كما أن له طبيعتين.

16- مجادلة يوحنا الأرثوذكسي

مع مانوي حيث يرفض القديس أفكار ماني الذي كان يعلّم المذهب الثنائي.

17- شرح لرسائل القديس بولس

وقد استوحاه من كتابات يوحنا الذهبي الفم وكيرلس الأسكندراني. أما في موضوع النسك فقد كتب يوحنا.

18- مقالة قصيرة عن الصوم

وجّهها إلى أخيه الروحي كوميت.

19- مقالة عن الأرواح السيئة الثمانية

يعالج فيها الخطايا الرئيسية التي يرتكبها الراهب ضد الحياة الرهبانية.

20- مقالة في الفضائل والرذائل

21- **تآليفه الطقسية والأناشيد الدينية التي اشتهر بها يوحنا الدمشقي**. اشتهر القديس يوحنا كناظم تسابيح وكمرنم أيضا، فقد وضع العديد من التسابيح وقام بإصلاحات في الموسيقى الكنسية.

إنه الشاعر القوي والناظم للعديد من القوانين والأكثر شهرة بين شعراء عصره، فجمع في شعره بين النظم الوزني - النبري والنظم القياسي – المقطعي (قانون الميلاد والظهور والعنصرة).

ضبط الألحان الكنسية في ثمانية ألحان ونظم طروباريات القيامة التابعة لكل لحن : الأول "إن الحجر" ، الثاني "عندما انحدرت" ، الثالث "لتفرح السماويات"، الرابع "إن تلميذات الرب" ، الخامس "لنسبح نحن المؤمنين"، السادس "إن القوات الملائكية" ، السابع "حطمت بصليبك الموت" ، الثامن "انحدرت من العلو"...

ضبط وأكمل كتاب الألحان الثمانية (او كتو إيخوس) أو المعزي (باراكليتيكي).

كتب العديد من القوانين، ومن أهمها القوانين الخاصة بالأعياد السيدية والوالدية، ومن القوانين التي كتبها الدمشقي : الحبل بيوحنا المعمدان (23 أيلول)، كوزما ودميانوس (1تشرين الثاني) ، باسيليوس المعظم (1كانون الثاني)، بولس الثيبي (15 كانون الثاني)، أبيفانيوس القبرصي (21 أيار) ، أليشع (14 حزيران)، مولد يوحنا السابق (24 حزيران)، التجلي (6 آب)، رقاد السيدة (15 آب) وغيرها.

كما كتب العديد من الإيذيوميلات والستيشيرات.

انتشرت بشكل واسع إيذيوميلات الأموات، التي ترتل في خدمة جناز الراقدين وهي ثمانية حسب الألحان الثمانية.

تتسم تسابيحه بطابع عقائدي واضح، فقد أغنى تسابيحهُ بمواضيع إيمانية وعقائد أساسية بشكل سلس واضح، وهذا يظهر على سبيل المثال في ثيوطوكيات المعزي للألحان الثمانية. "مثنى بالطبيعة، وليس مثنى بالأقنوم، لهذا نكرز بالحقيقة أن المسيح إلهنا هو بالحقيقة إله تام وانسان تام ...". (اللحن الثامن).

"....ولدت (العذراء) بالجسد ابناً بغير أبٍ، الذي هو قبل الدهور مولود من الأب بغير أم، خلوّاً من تغيير أو امتزاج أو انقسام، بل هو حافظ خواص كل من الجوهرين سالماً". (اللحن الثالث).

القديس أبراميوس أسقف أقراطيا

ولد القديس أبراميوس في حمص من أبوين تقيين هما بولس وتقلا. وذلك في مطلع ولاية الملك زينون، سنة 475م. ترهب، صغيراً، في بعض الديورة حول المدينة فتأدب بجميع تدابير الرهبنة. وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره أغار على ديره الساريون (الإسماعيليون) ، فهرب ومعلمه إلى القسطنطينية حيث أقام فترة قصيرة.

إذ صار معمله رئيساً لأحد الاديرة بقرب المدينة، أضحى هو للدير مدبراً، وكان يزداد، كل حين، فضلاً وصلاحاً. ويحسن القيام بتدبير شؤون الدير في الداخل والخارج. كما كان محبوباً من الجميع لسلامة سيرته وبشاشته ونقاوة مجازه وتدبيره.

وفيما هو كذلك ينمو ويزداد يوماً بعد يوم. كان في تلك الناحية رجل مقتدر اسمه يوحنا، من مدينة يقال لها اقراطيا. وكان لهذا أخ اسمه أفلاطون. أسقفاً على تلك المدينة. ولما كان يوحنا قد رغب ببناء دير في أرض آبائه، وعرف بنقاوة مجاز أبراميوس وحسن سيرته وفضله، التمسه ليكون للدير المنوي إنشاؤه رئيساً. فصلى معلمه عليه وبعون الله، تم بناء الدير وصير أفلاطون الأسقف أبراميوس قسيساً ورئيساً. كان قد بلغ من العمر، يومذاك، السابعة والعشرين.

أقام أبراميوس في ذلك الدير عشر سنين. وقد جعل له ذكراً طيباً، وجمع فيه رهباناً دبرهم في ما يرضي الله من جميع الخصال. كما ذاع صيت الدير، هنا وثمة، وصار كثيرون يترددون عليه، أساقفة ورهباناً وعلمانيين، ليتفقهوا به. ولكن، أحزن أبراميوس إقبال الناس عليه بهذه الكثرة لأنه كان محباً للسكون وعاشقا للحياة والصلاة بهدوء.

فلما اشتدت كآبته، خرج من الدير خلسة وارتحل إلى بيت المقدس وليس معه من حطام الدنيا شيء، كان قد بلغ التاسعة والثلاثين. وفيما هو يتردد في الأماكن المقدسة مصلياً لقيه القديس يقال له الاسخولارس لأنه سبق له أن خدم ضابطاً في الحرس الملكي. وكان هذا تلميذاً لأبينا سابا المتقدس، صيره معلمه رئيساً لدير عرف بـ "البرج" كان أشبه بالمنسك.

فلما وقع نظر الاسخولارس، واسمه يوحنا، على أبراميوس ولاحظ حسن سيرته وطقسه وحلاوة كلامه، عرف أنه عبد لله، فأخذه إلى مأوى الغرباء التابع للافرا القديس سابا. أبراميوس يومذاك كان في شدة وعوز. ثم أن يوحنا أستأذن معلمه القديس سابا أن يكون أبراميوس معه في "البرج" فأذن له. كان في المنسك، إلى جانب يوحنا وأبراميوس، راهبان فاضلان آخران اسم أحدهما يوحنا أيضاً والآخر غريغوريوس. وقد اتفق أبراميوس وأهل البرج في الرأي، فكان خاضعاً لهم، طيعاً بين أيديهم لأنه ألفاهم أقوياء حكماء في تدبير النفوس وخلاصها.

ومرت الأيام إلى أن قدم إلى بيت المقدس رجل فاضل اسمه ألبنيوس من مدينة يقال لها كلوديوبوليس وكان يبحث عن أبراميوس لأنه لقيه مراراً كثيرة في أقراطيا القريبة من مدينته وانتفع من تعاليمه الروحية. وبعدما سأل عنه كثيراً واقتفى آثاره اهتدى إليه، فلما وجده في البرج أبلغه أنه موفد من أفلاطون الأسقف وأنه أتى ليرده إليه. وقد لقيه أبراميوس بفرح عظيم ونصحه بترك أمور الدنيا وملازمة خوف الله وطاعته. ويظهر أنه كان لمشورة أبراميوس في نفس ألبنيوس وقع حسن. لاسيما بعدما بان له صلاح وفضل كل من يوحنا الأسخولارس والشيخين اللذين معه، فاستنار عقله وأسلم أمره للقديس سابا فأخذ يعتني بأمره وأوصى من في البرج أن يحولوا المنسك إلى دير للشركة (كينوبيون)، فكان كذلك. مذ ذاك أسلم ألبنيوس نفسه لله بكل قوته حتى نما، في زمان قليل، في عمل الصلاح كبيراً. فجعلوه شماساً، رغم تمنعه، وبعد ذلك قسيساً فثانياً بعد رئيس الدير.

أما أبراميوس القديس فتمت له أربع سنوات في ذلك الدير، وكان أفلاطون الأسقف يرسل في طلبه مرة بعد مرة. وإذ لم يستجب بعث إليه الأسقف برباط منعه بموجبه من الكهنوت. وإذ استمر أبراميوس غير مبال أرسل الأسقف فمنعه من القربان. إذ ذاك أخذه يوحنا الأسخولارس وذهب به إلى القديس سابا فأخبره بأمره. فأخذهما القديس سابا إلى بيت المقدس، إلى إيليا البطريرك طالباً حلّه، إذا أمكن، ليكون له أن يشترك في القدسات. فكان جواب البطريرك أنه ليس لأحد أن يحلّ ما ربطه غيره، لاسيما إذا كان

صاحب الربط حياً يرزق. إذ ذاك أشار القديس سابا ويوحنا اسخولارس معاً على أبراميوس أن يذهب إلى أسقفه ليحلّه.

وعاد أبراميوس إلى أقراطيا في تمام السنة الحادية والأربعين من عمره. فلما وقف أمام أسقفه قبله بفرح وحلّه من الرباط الذي وضعه عليه ورده إلى رئاسته. وإن هي سوى أيام قليلة حتى تنيح الأسقف فقام أهل المدينة إلى متروبوليت تلك الديار طالبين منه أن يجعل أبراميوس أسقفاً عليهم. فصنع لهم ما أرادوا.

وقد أظهر الله على يدي هذا الأسقف الروحاني فضائل جمّة. فكان يفتقد الأيتام والغرباء والمحتاجين، كما كان يطرد الشياطين بقوة الله، ويهتم ببناء الكنائس.

وقد أقام أسقفاً خمس عشرة سنة أنار خلالها عقول العامة بتعليمه وتدبيره حتى لزمت الصلاح في أمور شتى. ودائماً ما اعتاد أن يذكر ما كان فيه من السكوت والخلوة والهدوء في دير الأسخولارس فكان يحزن لما فقده حزناً شديداً .وكان من كثرة همومه الدنيوية يطلب من الله قائلاً: "ربي وإلهي، إن كانت مشيئتك أن أخرج إلى البرية فسهل أمري". وحدث أنه خرج إلى القسطنطينية، مرة، لقضاء حاجة للكنيسة فبلغه أن القديس سابا هناك فطلبه فلم يجده لأن القديس سابا كان قد ترك المدينة إلى بيت المقدس قبل ذلك بثلاثة أيام. فحزن أبراميوس لذلك حزناً شديداً. ثم أنه، في الليلة عينها، أبصر القديس سابا مقبلاً إليه في الحلم وقائلاً له: "لا تحزن لأنك لم تلقني في القسطنطينية. ولكن، إن كانت رغبة قلبك أن تستريح من هموم الدنيا فأرجع إلى ديرك وستتنيح". فقام من نومه ولم يخبر أحداً بحاله. بل سلم شمامسة ما كان قد استخرجه لكنيسته. ثم ركب سفينة، دون أن يأخذ معه شيئاً من أمور الدنيا، وجاء إلى بيت المقدس. ومن ساعته جاء إلى دير البرج، ففرح به يوحنا اسخولارس وألبنيوس فرحاً عظيماً. وكان الثلاثة كنفس واحدة، في المسكن والطعام والأعمال الفاضلة. وكان كل واحد يحرّض صاحبه على عمل الخير. وكل ما كانوا يفكرون فيه على قلب الله كان، بعيداً عن هموم الدنيا.

فلما مرت على أبراميوس سنة بعد عودته إلى البرج، تنيح القديس سابا في الخامس من شهر كانون الأول من العام 522 للميلاد. وكان أبراميوس، في أيام الصوم. يخرج إلى برية روبا برفقة يوحنا اسخولارس وألبنيوس، كما كانوا يتعهدون أهل السكون في البرية ويحرصون على نياحة سياحها. هناك أقام الثلاثة مجتهدين ثماني سنوات، إلى أن تنيح ألبنيوس بعدما فاق جميع الرهبانية وحاز موهبة النبوءة.

أما أبراميوس، هذا الكبير، فكان طبيباً للنفوس والأجساد، وكان كثيرون يأتونه طالبين الشفاء من أمراضهم.

وبعد زمان مرض يوحنا أسخولارس قليلاً وعرف بالروح القدس قرب خروجه من هذا العالم، فأوصى بما أراد، ثم في تمام الأربعين من مرضه انتقل إلى جوار ربه، في كانون الثاني. كان ذلك في تمام السنة الثامنة والستين من حياة أبراميوس.

أما أبراميوس فرقد بعد حين مزيناً بالمواهب الروحية. كانت نياحته في اليوم السادس من شهر كانون الأول مجللاً بالإكليل السماوي من المسيح الإله له المجد والسبح والظفر إلى دهر الداهرين، آمين.

القديس فاكخوس الساباوي

عاش هذا القديس في القرن الثامن في عهد الامبراطور قسطنديوس وزوجته الامبراطورة إيريني. ينحدر القديس من أصل فلسطيني، ارتدّ أبوه عم الايمان المسيحي واعتنق الاسلام وكان له سبعة من الأبناء فكان اسم قديسنا وقتها (ضحّاك). فبعد وفاة والده لم يتزوج، وبالاتفاق مع والدته التي بقيت مسيحية اعتمد سرّاً، ومن ثم التحق باللافرا المقدسة للقديس سابا المتقدس، وهناك تمت سيامته راهباً واعطي له الاسم فاكخوس.

أحد إخوة هذا القديس كان يعلم بأمره، فقام بهيانتهِ وأخبر المسلمين بقصة ارتداده عن الدين الاسلامي، وقام هؤلاء بالبحث عن القديس، وعندما وجدوه ساقوه إلى قاضٍ في المدينة المقدسة أورشليم ليحاكَم بتهمة ارتداده عن دين الاسلام. أمام القاضي وقف قديسنا شامخاً كالطودِ واعترف بحقيقته وشهد لإيمانه المسيحي، كما دحض معتقدات الدين الاسلامي، مما أغضب القاضي فحكم عليه بقطع رأسه في الخامس عشر من شهر كانون الأول، ونال إكليل الشهادة وتُعيِّد الكنيسة لذكره في يوم استشهاده.

القديس العلامة ميخائيل السنجلوس

ولد القديس ميخائيل في المدينة المقدسة أورشليم عام 761م. نُذر للرب وهو في سن الثالثة من العمر، كان عارفاً بالكتب الإلهية والعلوم الدنيوية. وقد تثقف في الخطابة وعلم الفلك والشعر. التحقت أمه وأختاه، إثر وفاة أبيه، بدير من أديرة المدينة المقدسة، أما هو فانضم إلى دير القديس سابا المتقدس. أبدى وهو بعد في الخامسة والعشرين من عمره، حميّة فائقة في ممارسة النسك والوصايا المقدسة، فاق أقرانه من رهبان الدير في الجهاد والأتعاب، و كان على مدى ثمانية عشر عاماً يكتفي من الطعام بقليل من الخضار مرة كل يومين أو ثلاثة. امتاز بتواضعه ولطفه وجعل نفسه في خدمة الجميع كما للمسيح. سيمَ كاهناً بعد اثني عشر عاماً من بدء رهبنته. زاد على نسكه، انه اعتزل في مغارة ضيقة لا أثر فيها للراحة أو التعزية البشرية. همّه الأوحد كان مناجاة ربه. عين له رئيس الدير، بعد ذلك بزمن قصير، تلميذين ساطعين هما الأخوين ثيودوروس (هبة الله) 25 عاما وأخاه ثيوفانيس (مظهر الله) 22 عاماَ. فأصبح أبا روحياً لهما. فاهتم بتنشئتهما على العلوم المقدسة والانضباط الرهباني. ارتبط الثلاثة برباط محبة لا ينفصم وبغيرة في الدفاع عن الإيمان لا تدانى.

في سن الخمسين رُقِّيَ ميخائيل إلى رتبة السينجلوس (الواعظ) وجعله البطريرك توما الأورشليمي، هو وتلميذيه في دير قريب من كنيسة القيامة في المدينة المقدسة.

في حدود العام 810 م أخذ رهبان فرنجة، في جبل الزيتون، إتباعاً لما كان يجري في قصر شارلمان، أقول أخذوا يتلون دستور الإيمان على الفيليوكوي. أي على القول بانبثاق الروح القدس من الآب والابن، خلافاً لإيمان الكنيسة الجامعة والعادة المتبعة. أثار الأمر لغطاً. على الأثر أوفد البطريرك الأورشليمي القديس ميخائيل وتلميذيه وراهباً يدعى أيوب. لاطلاع بابا رومية على الأمر. ومن رومية انتقل ميخائيل وصحبه إلى المدينة المتملكة. القسطنطينية. حيث كان الإمبراطور لاون الأرمني والبطريرك ثيودوتوس قد أخذا في الطعن بإكرام الأيقونات واضطهاد مكرميها من جديد، بعدما كان المجمع النيقاوي الثاني، السابع المسكوني (787م)، قد بت في الأمر وأعاد للأيقونات كرامتها المعهودة. لم يتردد القديس ميخائيل في لوم الإمبراطور على فعلته. أوقف ونُفي تلميذاه. لما رقد لاون وحل محله ميخائيل الثاني إمبراطوراً (820 -829م) خفت الحملة على الأيقونات قليلاً فأرسل القديس ميخائيل وأيوب الراهب إلى دير في الأوليمبوس (بيثينيا). من هناك تمكنا من إرسال عدد كبير من الرسائل في كل اتجاه دفاعاً عن الإيمان القويم. ولكن، مع حلول ثيوفيلوس إمبراطوراً (829 -842م) تأزمت الأمور من جديد. استُدعي ميخائيل القديس إلى العاصمة وجعله ثيوفيلوس في سجن البريطوريوم الصعب. بقي قيد الاعتقال سبع سنوات في ظروف لا إنسانية، مقيد الرجلين، في الانفراد. في الصمت. احدودب ظهره وفقد نور عينيه. بعد ثيوفيلوس،

وضع ميخائيل الثالث (842 -867م) وزوجته ثيودورة حداً لحرب الأيقونات وأطلقا الأسرى واستدعيا المنفيين إلى القسطنطينية. التقى القديس ميخائيل بتلميذيه من جديد وكان كل منهم يحمل في جسده سمات الدفاع عن الإيمان القويم. إثر ذلك عُيّن ميخائيل رئيساً لدير الكروة في المدينة وهو المفرز لاستقبال الرهبان القادمين من فلسطين. اجتمع في الدير، بهمة القديس، مائة راهب. في سن الخامسة والثمانين درى ميخائيل بساعة مفارقته إلى المساكن العلوية. جمع رهبانه وزودهم بإرشاداته الأخيرة. انتقل إلى صديقه، ميثودويوس، بطريرك القسطنطينية. بقي معه إلى أن وافته المنية في 4 كانون الثاني سنة 846م. أودع جسده ديره.

عيده اليوم هو ذكرى مرضه لا رقاده. هذا وفق سيرته القديمة. تُعيّد الكنيسة لذكراه في الثامن عشر من كانون الأول.

القديس أنطيوخوس القابل الكل

عاش هذا القديس في القرن السابع الميلادي، زمن الإمبراطور البيزنطي هرقل (610 -641م). كان من غلاطية. ترهب في دير القديس سابا في فلسطين.

ذاع صيته لفضيلته وقداسة سيرته. شهد سقوط أورشليم في أيدي الفرس سنة 614م وكتب عن الخراب الذي حل بالمدينة وانتقال الصليب المحيي إلى بلاد فارس. بكى عليها وعلى قتلاها كما بكى إرميا في القديم. بناء لطلب مواطنه أسطاتيوس، رئيس دير أتالين في أنقرة الغلاطية. وضع مؤلفاً بعنوان "الجامع في الكتاب المقدس" لفائدة الرهبان الغلاطيين الذين أخرجهم الفرس من أديرتهم وباتت الكتب تنقصهم. وهو عبارة عن مائة وثلاثين فصلاً، تضمنت تعليم الكتاب المقدس وحكمة آباء الكنيسة مما اكتسبه أنطيوخوس من مطالعاته وخبرته. وقد لُقب صاحبه بـالبنديكتي نسبة إليه، وللقديس أيضاً صلوات وأقوال نسكية نافعة. من الصلوات المنسوبة إليه الصلاة المعروفة: "وأعطنا أيها السيد إذ نحن منطلقون إلى النوم راحة النفس والجسد... "

وله أقوال منثورة هنا وهناك في مختارات أفرجتينوس التي اتخذت بالعربية، عندنا، اسم "كيف نحيا مع الله".

وصف أيضاً مقتلة آباء دير القديس سابا على يد الفرس سنة 614 ، و نعيد لهؤلاء الآباء في 20 آذار.

ومن أقواله:
" إن دينونة القريب لهي من أسوأ الأهواء ضراراً- لا من حيث أنها تؤدي بمن يدين إلى أشدِّ العذابات وحسب- كمغتصب للحق الإلهي وكعدو لله. ولكن لأنها تُعرّيه من ستر الله وعونه، فيسقط في ذات الخطأ الذي يدين عليه قريبه ويخفف بالتالي الثقل عمّن يُدين ويضع ثقل المدان على عاتقه...."

وأيضا من أقواله
" إن شيطان الضجر سيء جداً وثقيل، يصادف الراهب عند الساعة السادسة ويسبب له صراعاً عنيفاً وكرهاً شديداً للمكان المقيم فيه، لا بل للإخوة العائشين معه. واستياء من كل عمل، وحتى من مطالعة الكتاب المقدس بالذات".
"ضع لنفسك مقياساً في كل عمل ولا تتركه قبل نهايته، صلّ بوعي وجد فيهرب عنك روح الضجر". يُعيد ذكراه في الرابع والعشرين من كانون الأول.

القديس افروذيسسوس الساباوي

القديس افروذيسيوس كان أحد أفراد أخوية دير القديس ثيوذوسيسوس (دير ابن عبيد حالياً). وينحدر بأصله من آسيا الصغرى، كان ضخم الجثة ورجلاً قوياً. أُوكلت إليه مهمة السايس، أي الاعتناء بدواب الدير. في احد الأيام بينما كان غاضباً، ضرب حصاناً كان محملاً بحمل ثقيل للدير فأراده قتيلاً. وبعدما هدأ غضبه، حمل بنفسه حمل الحصان التعيس الحظ وتوجه به إلى الدير.

عندما علم بالأمر القديس ثيوذوسيوس رفض ان يُدخله إلى الدير وطرده. عندما التجأ إلى آباء كثيرين، يرجوهم أن يُسدوا له نصيحة، ويشوروا عليه بما يفعل؟ فنصحوه بأن يتوجه إلى القديس سابا قائلين له بأن القديس سابا انسان رحوم شفوق ولسوف يقبله في ديره بعد أن يفرض عليه قانوناً. فذهب أفروذيسوس الى اللافرا المقدسة للقديس سابا المتقدس، وهناك استقبله القديس سابا وفرض عليه قانوناً وقال له: "يجب أن تبقى داخل قلايتك، ولا تحاول أن تنتقل منها إلى قلاية أُخرى، حتى تضبط لسانك كلياً وهكذا ستخلص". وافق أفروذيسوس على جميع الشروط وقبلها، ولمدة تزيد على الثلاثين

عاماً لم يسعَ للحصول على مقلاة أو آنية للطبخ، كان يقتات على ما يفضل عن الإخوة. وكان يأخذ سعف النخيل من مدبر الدير ويصنع منها تسعين سلة كل شهر.

أما اخوته فطوال الوقت كانوا يصغون إلى تنهداته. والله أعلم كم من الدموع قد ذرف ليروي الأرض. وبعدما أكمل ثلاثين سنة وهو يتمم القانون المفروض عليه أنعم الله عليه بموهبة التنبؤ، وهكذا درى بموعد رحيله، فطلب من القديس سابا أن يسمح له بالذهاب للقديس ثيوذوسيوس.

وافق القديس سابا وأرسل معه مرافقاً يدعى ثيوذولس وحَمّله رسالة إلى القديس ثيوذيسيوس جاء فيها: "في يوم ما استقبلت عندي انساناً يدعى أفروذيسيوس أمّا الآن فإني أرسل اليك بنعمة ربنا يسوع المسيح ملاكاً".

بعدما استضافه القديس ثيوذيسيوس باركه وتركه ينصرف بسلام. عاد أفروذيسيوس إلى اللافرا المقدسة وبعد عدة أيام رقد في سلام بالرب. أما القديس سابا فأمر أن يوضع جسده أقرب ما يكون من مدخل المقبرة حتى إذا ما نزل الآباء للصلاة على الأموات، يُصلون عليه أولاً. يُعيَّد لذكراه في الرابع والعشرين من كانون الأول.

القديس ثيودوروس الموسوم المعترف

هو شقيق القديس ثيوفانيس المرنّم المعيّد له في 11 تشرين الأول. ولد في أورشليم سنة 775م. ونال نصيباً من العلوم الدنيوية لا يستهان به. كان حاد الذكاء. انضم وأخيه ثيوفانيس إلى دير القديس سابا حيث فاق العديد من الرهبان في جهاد الفضيلة. سيم كاهناً وهو في السادسة والثلاثين. فحمل لواء الدفاع عن الإيمان القويم ومؤازرة الكنيسة في أورشليم لدى رومية والقسطنطينية، دافع عن إكرام الأيقونات المقدّسة أيام الإمبراطور لاون الخامس الأرمني فسُجن في أحد حصون البوسفور ثم أطلق سراحه إثر موت لاون. عاد الإمبراطور ثيوفيلوس فقبض عليه بعدما تابع الحملة على الأيقونات. تعرّض ثيودوروس للضرب والإهانة والسجن سنتين.

وقف بعدهما، أمام ثيوفيلوس، ودافع عن الأيقونات المقدّسة بالبراهين الكتابية. وإذ لم يتمكن ثيوفيلوس من محاجته، أسلمه إلى الجلادين فجلدوه بلا هوادة وخطّوا على جبينه

بالحديد المحمّى السبب الذي أدين من أجله. نُفي وأخيه إلى ضواحي القسطنطينية ثم رُحِّل إلى بيثينيا إلى أن رقد في الرب. نُقلت رفاته بعد عودة السلام إلى الكنيسة فأودعت خلقيدونيا حيث نشأ دير على اسمه. بعض رفاته موجود في كنيسة القديسة كاترينا في تسالونيكي في اليونان.

تُعيد الكنيسة في اليوم السابع والعشرين من شهر كانون الأول.

القديس كسينوفون وزوجته القديسة ماريا وابنيه القديسان أركاديوس ويوحنا

عاش القديس كسينوفون في عهد الملك الورع يوستنيانوس (527-565م). وكان موظفاً رفيعاً في البلاط الملكي. تزوج من فتاة مؤمنة ورعة تدعى ماريا ورُزقا ابنين هما يوحنا واركاديوس.

أرسل القديس كسينوفون ولديه إلى بيروت لطلب العلم والدراسة فيها.

في عرض البحر تعرضت السفينة إلى متاعب كثيرة لأنّ البحر كان هائجاً والأمواج عاتية والرياح عاصفةً مما أدى أخيراً إلى غرق السفينة. لكن القدرة الإلهية شاءَت أن تنقذ الشابين بطريقة عجيبة، فنجيا. لكنهما كانا قد افترقا وضاعا عن بعضهما البعض، ولم يعلم الواحد منهما مصير الآخر.

بعد فترة سافر أركاديوس إلى الأراضي المقدسة في فلسطين لأداء مناسك الحج والتعبد فيها، وخلال زيارته لكنيسة القيامة تعرّف إلى أحد الشيوخ الرهبان وكان متواجداً عند موضع الجلجلة المقدسة، وكان يدعى ذوروثيوس، فتعرف إلى الشاب وعلم بنواياه، فاقتاده إلى مغارته التي قضي فيها زهاء خمسين عاماً في الصوم والصلاة وقام الشيخ بتعليم أركاديوس الطرق الفُضلى ومبادئ حياة النسك والعبادة، وتركهُ متوحداً في المغارة، وتوارى عنه داخل البرية.

بعد فترة أيضاً فَدِمَ يوحنا لزيارة الأراضي المقدسة في فلسطين ودخل كنيسة القيامة، فشاءت العناية الإلهية أن يلتقي هو أيضا بالراهب الشيخ ذوروثيوس وعلم بأن أخاه ما زال حيّاً، فشكر ومجّد الله وبعدها اصطحبه الشيخ إلى حيث أخيه وعندما أبدى هو الآخر رغبةً في البقاء واعتناق الرهبنة، خصّص له الشيخ الراهب مغارة بجانب مغارة أخيه وتركه يعيش بدوره متوحداً وتوارى. وكان يوحنا يمارس الأتعاب والجهادات الروحية، وسرعان ما ظهرت نعمة الله على الآخرين، فتدرجا إلى اعلى المراتب الفضيلة والكمال الروحي.

أما والديهما فعاشا حزينين متألمين لفقدان ولديهما. ذات يوم رغبا في زيارة الأماكن المقدسة للتعبد والبرك من القبر المقدس. وبعون الله تم لهما ذلك، هناك بداخل كنيسة القيامة المقدسة وعند موضع الجلجلة المقدسة التقيا بالشيخ الراهب ومنه علما بمصير ولديهما وبأنهما أصبحا راهبين بنعمة الله يتقدمان بالجهاد الروحي. وبنفس الفترة رتبت العناية الإلهية أن يحضران القديسان أركاديوس ويوحنا إلى أورشليم فالتقيا بالشيخ الراهب وقبلاه بحراره أمّا هو وفي لحظة عاطفية شديدة التأثر جمع الآباء بالأبناء وهكذا التأم شمل العائلة. بعد هذا اللقاء المثير رجع كسينوفون إلى بلده وهناك أقدم على إعتاق جميع عبيده ومنن ثم وزع ثروته على الفقراء والأديرة وعاد إلى فلسطين ليلتحق هو بدوره بولديه في البرية. فوجد له مغارة بقرب مغارة القديس سابا في اللافرا، وفيها قضى بقية حياته ممارساً حياة الفضيلة والتعبّد، وزاد على ذلك أن عاش زاهداً متقشفاً وبصرامة حتى ارتقى روحياً واقتنى بنعمة الله مواهب عظيمة كموهبة النبوءة بالأمور قبل حصولها.

أما والدة القديسين ماريا فأُرسلت إلى دير البارة بافلا المجاور لبيت لحم المقدسة. وهناك جاهدت ووصلت إلى مرتبة عالية في الفضيلة.

وهكذا تقدست العائلة بأكملها، ويحتفظ الآن برفاتهم في اللافرا المقدسة. ويفيض منها طيباً وهي محفوظة داخل صناديق صغيرة مقدسة.

يُعيّد لذكراهم في السادس والعشرين من كانون الثاني.

الآباء الشهداء الذين قتلوا في المذبحة عام 796م في اللافرا المقدسة

1 . أعمال شغب وثورة السارَيّين * (SARACENSالسراقيون)

عام 796 ميلادية واثناء جلوس البطريرك الياس الثاني (770-797) على سدة العرش البطريركي الاورشليمي كان رئيس اللافرا المقدسة أي جماعة النسك الموسعة آنذاك بدير مار سابا يدعى باسيليوس. ابان تلك الفترة اندلعت في فلسطين حرب أهلية شرسة (فترة انتقال الحكم الخلافي من الأمويين والعباسيين).

ويقول الكاتب في سرد مذكراته "ليس بمقدوري ولا هو موضوع بحثي أن أتقصى عن أسباب تلك الأحداث". لكن هناك كمٌ هائلٌ من الضحايا قد سقطت وسفكت دماء غزيرة كما حصلت اغتيالات واسعة بين الفريقين المتحاربين. فكلا الفريقين على حِدة كان يسلب وينهب كل ما وقعت أعينهم عليه واستطاعت أيديهم أن تنال منه. فتم إحراق وتدمير قرى كثيرة بعد القضاء على سكانها. وفي نهاية المطاف أضحت هذه القرى المنكوبة أثراً بعد عين بسبب الدمار والخراب الذي لحق بها، ويصعب على المرء تقدير حجمه لهول الفظائع التي اقترفت.

*السراقيون أي السارَيّون وهم الذين جردتهم سارة (من الميراث). فهاجر قد أجابت الملاك في الواقع قائلة: "إن سارة قد طرتني مجردة" (تكوين 10-18 :21) . كما يدعونهم أيضا الاسماعيليين نسبة لإسماعيل بن ابراهيم وأيضا الهَاجَريّين نسبة إلى هاجَر زوجة أبينا إبراهيم

أيقونة القديسة والدة الاله ذات الثلاث أيادي

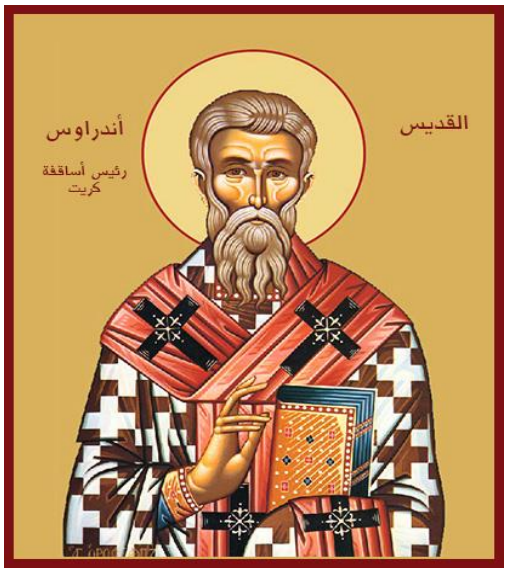

القديس اندراوس أسقف كريت

أما كاتب سيرة الرهبان الشهداء في مذبحة اللافرا القديس استفانوس فيذكر انه تم احتلال مدينة اليفثروبوليس (بيت جبرين) في تلك الاثناء وتهجير او قتل معظم سكانها، كما تم اجتياح مدينة عسقلان وغزة وهكذا تحولت هذه المدن الى خربٍ وأطلال قد تصلح أماكن للرعي.

في هذه الحقبة الصعبة والقاسية كثير من المسافرين أو عابدي الطرقات كانوا يقعون فريسة سهلة للسَّلب والنهب فيتعرضون للضرب المبرح والتنكيل وغالباً ما كانوا يتركون على الأرض مثخنين بجراحهم والذين يتمكنون من الهرب والنجاة بأرواحهم

كانت تكتب لهم الحياة من جديد. ومع اتساع أعمال الشغب والفوضى كانت الفرصة مواتية لبعض قطاع الطرق الرعاع للقيام بأعمال ثأرية والاغتيالات بدم بارد ويلي ذلك طبعا أعمال السلب والنهب لكافة ممتلكات المغدور.

امتدت أعمال الشغب واتسعت كما النار في الهشيم. حتى كثيراً من سكان الارياف قد اضطروا أن ينزحوا عن ديارهم هكذا فارين بأرواحهم صوب المدن الكبرى ظناً بأنهم هنالك سيكونون في حال أفضل وأكثر أماناً من الاعتداءات الغاشمة التي تتربّص بهم بالمرصاد. لكن حسرتاه! المدن الكبرى أيضا كانت حالتها سيئة وسكانها كانوا يتحسبون على الدوام من أي هجوم او عدوان قد يتعرضون له. ونخص بالذكر سكان المدينة المقدسة أورشليم والتي كانت عرضة للتهديد والاغارات من قبل الطامعين الساريين. في تلك الاوقات كان معظم سكان المدينة شيباً وشباناً تاركين اعمالهم اليومية ومشغولين في بناء التحصينات والأسوار المنيعة وكما تم نشر مراقبين على مدار الساعة لينذروا في الوقت المناسب عن اية حشود تلوح في الافق والحمد دائماً لله لأنه وفي نهاية المطاف استطاعت فئة قليلة مؤمنة من سكان المدينة الدفاع عنها ورد الخطر ودحر الغزاة على أعقابهم خائبين.

2. رسوخ الايمان ونكران الذات لدى آباء اللافرا المقدسة

والحالة مضطربة هكذا، رأى رئيس الدير باسيليوس أنه من الحكمة أن يسمح لمن يرغب من الرهبان بمغادرة اللافرا الى المدن الكبرى طلباً للحماية والنجاة من الأخطار التي كانت تحدق بهم. لكن لا احد من الرهبان أظهر ميلا لمغادرة أماكن تعبده بالدير. فكانوا كلهم كنفس واحد مواظبين على الصلوات ومبتهلين الى الله ليل نهار بأن تؤول الامور كلها وفق مشيئته وخصوصاً فيما يرضى هو سبحانه تعالى من خير لمصلحة

خلاص نفوسهم. فكنت تسمعهم يتمتمون فيما بينهم هكذا: "إذا أراد الله القادر على كل شيء لنا النجاة من أيدي هؤلاء فنقتل سيسمح بذلك وهو العارف بكل شيء ويكون في ذلك لمنفعة لنا ورفعة. دعنا نرضى إذاً من الله ما يراه من خير لنا ولمصلحتنا. فلا يجب علينا ان نشعر بالعار اذا أبدينا شوقاً وتعلقاً لعبودية حياة الذل فنحن قد تسلمنا وصية ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الضابط الكل بأنه لا يجب أن نخاف ممن يستطيع قتل الجسد، بل علينا أن نخاف ممن يستطيع إهلاك النفس :" كم هوو رائع اذ يرى المرء اولئك الذين قصدوا البراري تاركين العالم شوقاً ورغبة منهم باتباع سيدهم يسوع المسيح له المجد. انه من العار والمخجل حقاً أن يعودوا وفي لحظات ضعف إنساني فيتراجعوا عن دربهم للانغماس مجدداً في حياة العالم الصاخب.

ويعود الرهبان مكررين قائلين لبعضهم بعضاً : "أما تغربنا عن العالم وارتضينا أن نعيش في البراري القاحلة ولسنوات طويلة؟ فلا نملك مدناً وأبراجاً وأسواراً منيعة نستطيع الاحتماء داخلها. اليس عندنا يسوع المسيح السور المنيع الذي لا ينصدع، إذا فلسنا بحاجة لدروع فولاذية لحماية صدورنا ولا لخوذات على رؤوسنا ولا حتى لتروس جلدية بأيدينا. لكن معنا الله والروح القدس يمنحنا دائماً درع المحبة وترس الايمان ويغطي رؤوسنا بخوذة الخلاص. لسنا بحاجة لكتائب عسكرية ولا لجيش يتقدمنا في المعارك والحروب. فنحن واثقون بأن ملاك الرب دائماً يحيط بنا ويظللنا".

"بالنسبة لنا الحياة هي في المسيح، فالمسيح حياتنا والموت من أجله ربح لنا. ولهذا السبب عينه ارتضينا أن نسكت البرية ونحتمل قساوة الحياة فيها. لأجل هذا صممنا ان نعيش في هذه المناطق غير المأهولة، اليس جلياً أننا فعلنا ذلك تعلّقاً بالمسيح**!** لنموت إذا هنا، ولنقتل من أجل المسيح الذي نحبه كثيراً والذي لأجله تركنا أوطاننا وأتينا لنقيم في هذا المكان المقدس. فما أشهى وما أطيب و يا لها من سعادة غامرة بأن نموت شهداء لأجل المسيح الذي مات عنا لإفراط حبه لنا"

بترديد بعض هذه الكلمات تشجع الرهبان وصمموا ألا يغادروا البتة اللافرا غير آبهين بما ستؤول إليه النتائج. وفي الوقت نفسه متيقنين بقراره نفوسهم بان البرابرة (قطاع الطرق) إذا استطاعوا الوصول الى الدير ربما سيحولونه إلى قفز.

3. اقتراب التهديد والهجوم الأول للبرابرة الساريون على اللافرا

استطاع البرابرة الساريون الاقتراب من بعض أطراف الدير وبالقرب من صومعة الراهب خاريطوني والتفوا حول اللافرا القديمة وأخذوا يدمرون كل ما وجدوه أمامهم. وشيئاً فشيئاً أخذوا يشددون الحصار حول المكان وبالنهاية استطاعوا أن يستولوا على اللافرا الشهيرة ومكثوا بالمكان هناك عدة أيام يعيشون فيه فساداً. وخلالها لم يتوانوا عن ارهاب الآباء وأخذوا يضيقون الخناق عليهم ويسومونهم شتى أنواع العذابات. فالبرابرة الساريون كانوا غاضبين ينذرون ويتوعدون بالاستيلاء أيضا على اللافرا

الكبرى ولأنه باستثناء تلك لم يبقى بالجوار شيء قائم. ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض السكان بالجوار كانوا منذ مدة طويلة يتربصون بالمكان. ويضمرون العداء الشديد للرهبان. وكان هؤلاء أيضا متعطشين لاحتلال اللافرا. وقد عملوا على تأليب وإثارة جماعات اخرى ايضا ضد الدير وكان قد صادف أن بعض جنود الحامية من أورشليم سابقاً قد اشتبكوا مع هؤلاء القوم بالقرب من بيت لحم لظنهم ان هؤلاء كانوا يعدون لمهاجمة المدينة المقدسة. وطاردوهم حتى أطراف الصحراء.

لسوء الحظ عادت نقس هذه الفلول وعقدت العزم على شن هجوم انتقامي من اللافرا عند بزوغ الشمس. لكن صادف أن اكتشف بعضهم في الطريق كمية من النبيذ مملؤة في قِرَبٍ. فاخذوا يشربون منها بشراهة، فسكروا حتى الثمالة وأدى ذلك الى خصومة كبيرة ونزاعات فيما بينهم وهكذا فشل هدفهم وذهب أدراج الرياح.

هذه الاغارات أخذت تتكرر ودامت عدة شهور. فالطرقات الى المدينة المقدسة أصبحت خالية من المسافرين وآباء اللافرا اخذ يعتريهم الخوف الشديد مع الرعب الممزوج بالحزن و القلق. فالمواد الغذائية التي بحوزتهم اخذت تنفذ شيئاً فشيئاً، خصوصاً أنهم كانوا يتزودون بهذه الامدادات الغذائية وهي في طريقها الى اللافرا لعمليات السطو والنهب من قبل اللصوص وقطاع الطرق.

أما الآباء فاصبحوا على الدوم يصعدون الى الاماكن الشاهقة العالية ليمكثوا فيها بالعراء فيتعرضون نهاراً لحرارة الشمس الحارقة وأثناء الليل لبرودة الصحراء الشديدة. وعلى الدوام كانوا متأهبين وبانتظار هجوم بربري قد يحصل في أية لحظة. وغالباً كان الحراس المراقبون من الرهبان يلمحون جمعاً من حشود قطاع الطرق فينذرون الآباء حتى يأخذوا الحيطة والحذر وخصوصاً الرهبان الذين كانوا يعملون في اطراف الدير المتناثرة للعودة سريعاً والتجمع داخل اللافرا والبقاء في قلاياتهم.

عموماً كانت معاناة الرهبان لا تقاس، والقلق والخوف لا ينقطعان. في اليوم الثالث عشر من آذار تمكن أعداء اللافرا أن يوحدوا صفوفهم فحشدوا أعداداً كبيرة منهم، وكما نجحوا في استمالة جماعات أخرى معهم فزاد عددهم عن الستين. واتجه جميعهم صوب اللافرا عند الفجر.

وكالمعتاد الآباء الذين كانوا صاعدين الهضبة العالية سرعان ما تفرقوا لمجرد مشاهدتهم هذه الجموع من المهاجمين. أخذَ المهاجمون يقتربون رويداً رويداً وساعتها قام بعض من الآباء باستقبالهم وتوجهوا نحوهم مبادرين بالتفوه ببعض كلمات الترجي عسى ان يجدوا آذاناً صاغية فتجدي ويهدأ روع المهاجمين.

فبادر الآباء قائلين هكذا: "لماذا جئتم أيها الناس بهذا الشكل، كأنكم تُقبلون على أعدائكم فما كنا قد ظلمناكم فيما مضى او أدانكم أحدُنا باطلاً. وما تحاملنا قط عليكم

وشتمناكم او نظرنا نحوكم بازدراء واحتقار، فنحن ايها الاحباء اناس مسالمون مع الجميع ولم نذكر البته اننا احزناكم او أسأنا لأحدكم. ولطالما ابتعدنا بأنفسنا عن كل اسباب المنازعات والمعارك وآثرنا الزهد في الحياة وليست لنا حاجات او متطلبات خاصة بنا. العالم كله قد تركناه كما ترون. واتينا لنسكن الكهوف في هذه البرية فابتعدنا عن صخب العالم وضوضاء الحياة واضطراباتها. فيكفينا أن نعيش بالضيقات لنبكي على خطايانا ونُكَفِّر عنها لنصبح مرضيين من قبل الله. الحقيقة أننا لم نتسبب لكم بمضرة وما قصرنا يوما عن مد يد العون إليكم حسب مقدرتنا ولا توقفنا أيضا عن استضافة بعضكم وتقديم الزاد والراحة لمن كان يطلبها مَنّا.

للأسف الشديد كان المهاجمون في حالة غضب، فاشتد هياجهم وأخذوا يردون على تلك الاقوال بالمزيد من الشتائم وبالتهديد والوعيد وكما صرخوا قائلين: "لم نأت هذه المرة للحصول على القوت والغذاء، بل جئنا للحصول منكم على المال. فلكم ان تختاروا بين أمرين: المال او الموت بسهامنا". وعندها أجاب الآباء: "أيقنوا أيها الناس، أيقنوا تماماً بأننا أُناس بسطاء، فقراء، معوزون ولا نملك مالاً حتى لشراء رغيف خبز لنأكل ونشبع وكما ترون ليست عندنا أثواب فاخرة نلبسها وليست لدينا أي كمية من الذهب كما تدعون حتى أنه لم يخطر على بالنا قط أن نمتلكه. فإننا نرضى بأقل القليل لسد متطلبات معيشتنا، فنحن نعيش حياة الزهد والتقشف".

وبعد سماع هذه الاقوال هيّأ المهاجمون أقواسهم وشدوا أوتار أقواسهم ورموا بنبالهم صوب الآباء. فأدى ذلك الى إصابة حوالي الثلاثين ما بين جراح بليغة وسطحية ولهؤلاء الجرحى قام على الفور الطبيب البارع والمتفاني الشيخ الراهب وتوماس بمعالجتهم والاعتناء بهم. وهذا صار لاحقاً رئيساً على اللافرا القديمة وبعدها بطريركا على أورشليم. دخل البرابرة وإضرام النار في بعضها ثم تحولوا باتجاه الكنيسة عاقدين العزم على إحراقها. والحال هكذا ما كان الآباء الرهبان إلا أن يرفعوا نظرهم نحو رب السموات لطلب العون، متوسلين شفاعة القديس سابا. وفي الحال أحس البرابرة بأصوات أناس كثيرين مدججين بالسلاح يقتربون منهم. فظنوا بأن هنالك تعزيزات من الجيوش أتت لنجدة الدير، رافعة بأيديها البيارق. فتركوا المسروقات بالدير وفروا مذعورين من المكان.

4. استمرار معاناة الشيوخ الرهبان والهجوم النهائي على اللافرا

في اليوم التالي للهجوم وطوال أيام الأسبوع أخذ الآباء برفع التقدمات المقدسة والابتهالات مع الدعاء الى الله منذ وقبل فجر كل يوم وحتى الساعات المتأخرة جداً من الليل. فالجميع كانوا متآزرين مع بعضهم بعض يعزون أنفسهم مستعدين أن يواجهوا مصيرهم المشترك. في مساء يوم السبت وأثناء إقامتهم صلاة الغروب المعتادة وصل

اثنان من الرهبان الشجعان وهما يتصببان عرقاً، قَدِما من اللافرا القديمة وأخبرا بأن البرابرة الذين قاموا بالهجوم الفائت على اللافرا يتجمعون مجدداً مع أناس آخرين ويستعدون لشن هجوم ثان على اللافرا الليلة القادمة، وعند سماع الرهبان لهذا النبأ شعروا وكأن سيفاً قد جاز في قلوبهم. فأوشكت قواهم أن تنهار. فتركوا بعضا منهم ليرتل داخل الكنيسة والبعض الآخر صعد الى المرتفع قضى الرهبان ليلتهم حتى بزوغ الفجر والدماء أوشكت أن تتجمد في عروقهم وطوال الوقت لم يتوقفوا عن تلاوة الصلوات والابتهالات الى العلى وعيونهم لم تغمض لها جفن وهم يترقّبون ظهور الأعداء أي حين.

والحال مضطربة هكذا لاح لهم اثنان من بعيد يمشيان بخطوات متسارعة نحوهم. وسرعان ما تبين بأن ذينِكَ كانا راهبين واحد عجوز طاعن في السن يعلو الشيب الأبيض رأسه ولحيته والاخر كان مرافقاً له. ولأن الراهب العجوز كان تعباً جداً لم يستطع للحال أن يتفوه بشيء لكنه سلم الآباء رسالة صغيرة مكتوبة من قبل آباء دير القديس افثيموس وتضمنت الرسالة تنبيهاً وتحذيراً ومعلومات مؤكدة تم الحصول عليها من قبل أحد المخبرين السيئين الصيت التابعين "لمجمع الخبثاء" شمال المدينة المقدسة بأنه سيتم مهاجمة اللافرا الليلة القادمة وتدميرها بعد القضاء على من فيها. وللحال أدرك بأن الهجوم المنتظر سيتم من قبل عصابتين هذه المرة.

في ظل هذه الأجواء الملبدة بالغيوم القاتمة كان الآباء فاقدي الأمل بالحصول على أية مساعدة خارجية طارئة فبدأوا يصلون بلا انقطاع. وكاتب سيرتهم الفاضلة القديس استفانوس دوَّن ما يلي : "وا حسرتاه ! كيف لي ان أتذكر تلك الساعة الرهيبة والتي تستدعي العطف دون أن اذرف الدموع. كيف أستطيع وليس بمقدوري ذلك، حتى ولو كان لدي عشرة ألسنة وعدد مماثل من الأفواه. ولأنه بالحقيقة ، الكلمات مهما كانت بليغة تعجز عن وصف ما حدث، وأيضا مما سمعت بمقدوري أن اتصور ما حصل وحتى أن أتخيّل ذلك؛ فما رأَيته لا يستطيع البصر تصويره. فالتجربة مريرة والأحاسيس تثبر فيَّ الشجون والالام المبرحة. فالحطابون وقاطعوا الأخشاب لا يستطيعون أن يقطعوا رزم اخشابهم بهذا العنف والجبروت. فبلا رحمة أو شفقة قام البرابرة الأشبه بالحشرات والعديمين الانسانية بذبح الآباء الرهبان بجز رقابهم وبتقطيع أوصالهم وفصل رؤوسهم عن اجسادهم وكأنهم جزّارون في ملحمة. وما كانوا ليكتفوا بذلك فقبل ذبح الرهبان تم ترويعهم وإيلامهم بغير قياس وأقدموا على قتلهم بعد أن مارسوا ضدهم شتى أنواع العذابات وسقوهم كأس الموت بمرارة، فقد تفنن البرابرة بالتنكيل بجثث الآباء وتشويهها، فكانوا يغرسون السيوف في أجساد الآباء الشهداء ويشوُنها على النار وقسم من الآباء الشهداء أيضاً تم تحطيم جماجم رؤوسهم وتقطيع أرجلهم وأذرعهم والبعض الآخر تم التشنيع بهم وتهشيم وجوههم بالحجارة الكبيرة بعد ضربهم بالعصى وتم ترك كثيرين على الأرض مُضَرّجين بدمائهم.

أخذ الغزاة يتنقلون بسرعة من مكان لآخر وهم يصرخون بوحشية ويرشقون الكنيسة بالحجارة من عند سيل المياه العادمة أسفل الوادي ولحسن الحظ استطاع بعض من الآباء الاختباء داخل بعض الشقوق في المغار والاحتماء بها.

أما مساعد رئيس الدير فكان شاباً ويدعى يوحنا وكان هذا الراهب ينحدر من أسرة عريقة من النبلاء ويتمتع بدماثة الأخلاق والتقوى والغيرة المقدسة. فعندما القى الغزاة القبض عليه أمطروه بوابل من الحجارة وبعدها أمسكوه من أطرافه ورقبته وأخذوا يجرونه فوق حصى الأرض الخشنة وهو مثخن بالجراح وبالأحرى كان ما بين حي وميت. فجروه من أسفل الجبل حتى وصلوا به ساحة الكنيسة بوقت قليل استشهد اختناقاً من دخان نار كان الغزاة قد أشعلوها في المكان.

أما الذين حاولوا الفرار والهروب فقد كان يتم رصدهم من قبل الحراس البرابرة الذين كانوا موضوعين في نقاط عالية حول المكان.

وحدث أن كان راهبٌ دمشقيٌ ويدعى سرجيوس في الدير وهذا الراهب عندما راى كيف يساق الآباء بعنف الى داخل الكنيسة حاول الفرار من المكان لينجوَ بنفسه إذا استطاع و لئلا يلقى نفس العذابات التي واجهها الرهبان، ولكي لا يضطر تحت تهديد البرابرة أذا مسكوه أن يبوح لهم عن مكان وجود الالبسة الكهنوتية والأواني الكنسية المقدسة.

للأسف تم اكتشاف أمره وتعقبه فألقى الحراس البرابرة قبضهم عليه واضطروه تحت وقع تهديد السيوف بأن يعود أدراجه. ولما أبدى قليلاً من المقاومة قاموا بضربه على عنقه ثلاث مرات بالسيف. وبعدها حملوا جثته والقوها في مجرى الديماس ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يسقطون الحجارة الكبيرة فوق الجثة مما أدى إلى تحطيمها وتغيير معالمها بالكامل وبعد ذلك غادر البرابرة الدير، أمّا الآباء الناجون فقاموا برفع جسده ووضعوه في صندوق مقدس مع ما تم تجميعه، من أشلاء متناثرة للرهبان والشهداء.

وفيما سبق كان البرابرة قد أرسلوا بعضاً منهم الى الجهة المقابلة الى الشرق من السيل بحيث تصبح الأجزاء الغربية مكشوفة أمامهم وبذلك لا يستطيع احد ان يفلت من أيديهم او يهرب من مخبئة، لكن حدث أم لمح أحد الحراس البرابرة المتواجدين على الجبهة الشرقية أحد الرهبان فأخذ يصرخ ويشير بأصبعه للحراس الاخرين بالجانب الغربي الى مكان المخبأ. وبدورهم أسرعوا باتجاه المخبأ شاهرين سيوفهم، وآمرين المختبئين بأن يخرجوا من المكان.

أما الآباء المختبئون فكان عددهم خمسة وكانوا كلهم مذعورين وخائفين، واندفع أحدهم يدعى باتريكوس وكان هذا مملوءً بالغيرة المقدسة والحب الأخوي فصرخ نحو

أخوته قائلاً: "تشجعوا يا أحبائي، وإخوتي وأعزاء نفسي، فأنا اليوم سأجابه من أجلكم الخطر والموت. فأنا مستعد أن أسلّم نفسي غلى أيدي هؤلاء البرابرة الساريين عديمي الرحمة وذلك من أجل تحريركم. لهذا عليكم ان تحافظوا هنا على هدوئكم ولا تفتعلوا ضوضاء ولا تحاولوا ان تخرجوا من المغارة. فقفز بشجاعة إلى الخارج وسلّم نفسه للرجل البربري الذي وجده أمامه وأبدى استعداداً أن يتبعه. لكن البربري أمر بعناد بأن يخرج الباقين أيضاً، لكن جندي المسيح الشجاع باتريكيوس اكد بقوة ورباطة جأش بأن لا أحد موجود داخل المغارة وبأنه لوحده. هكذا استطاع انقاذ اخوته.

5. استشهاد الآباء

المجرمون والمزهوون بأنفسهم أخذوا يجمعون بعض الآباء داخل الكنيسة والبعض الآخر في غرفة رئيس الدير ومن ثم أخذوا يخاطبون الرهبان منذرين وقائلين: "افتدوا أنفسكم والكنيسة مقابل أربعة آلاف وحدة نقدية وإلا سنأمر بقطع رؤوسكم في الحال وسنقوم بإحراق الكنيسة".

عند سماع هذه التهديدات أخذ الآباء يرجونهم قائلين: "ارحمونا من أجل الله ولا تسفكوا بغير حق دمائنا فإنّ كمية الذهب التي تتحدثون عنها ليست بحوزتنا ولا نمتلك شيئاً منها. فان شئتم انزعوا عنا ثيابنا وأخذوها. سندلكم على قلايتنا لتروا جميع ممتلكاتنا ولن نخفي عنكم شيئاً وسنعطيكم إياه عن طيب خاطر. فقط اصنعوا معروفاً معنا وهبونا حياتنا واتركونا حتى ولو عراة".

لكن هؤلاء بوحشية استدعوا رجلاً حبشياً كان بينهم وطلبوا منه ان يحضر السيوف. فاستلوا السيوف من أغمادها وهو يصرخون، وأمسكوا بمدبر الدير (ايكونوموس) وجعلوه يقف ووجهه باتجاه الحائط ويداه مرفوعتان في الهواء بشكل صليب. وهددوا بأن يرموه بنبال أقواسهم. وكذلك هددوا جميع الرهبان بأنهم سيقضون على الجميع إذا رفضوا إرشادهم إلى أماكن الأواني الذهبية والفضية والموجودات الاخرى الثمينة. حاول الآباء ان يقنعوهم بأنّهم لا يملكون ذهباً ولا كنوزاً فصرخ البرابرة قائلين: "أين المثقفون والمتفوقون فيما بينكم، وأمناء الصناديق والمسؤولون عن ممتلكات اللافرا والكنيسة وإلا سنضطر لقتلكم جميعاً". فأجاب الآباء : "لا نملك شيئاً مما تطلبون فإضا كنتم تطلبون رئيس الدير فاعلموا بأنه ليس موجوداً بيننا ونحن الباقون كلنا أناس عاديون ومتساوون في الرتبة". (بالحقيقة رئيس الدير صادف ان كان غائباً في مسعى له لتأمين حاجيات اللافرا).

بدأ البرابرة يروعون الرهبان ولساعات طويلة وبعدها تيقنوا بأنهم لن يحصلوا على شيء وخصوصاً أن الآباء كانوا للموت جاهزين – فتم اقتيادهم الى داخل الكنيسة.

والبرابرة كان لهم طلب واحد من الرهبان، أن يسلموهم الطبيب الشيخ توماس حيث كان هؤلاء يجهلون شكله وكانوا يريدون أن يأخذوا منه مالاً. لكن الآباء امتنعوا عن كشفه لهم بالرغم من أنه كان موجوداً بينهم. فتوحش البرابرة أكثر فأكثر وبنفس الوقت كانوا مذهولين من متانه رابطة الحب الأخوي ومنن بسالة الآباء.

أخذ البرابرة يمارسون التعذيب ضد الآباء بضربهم بالعصي ويجرحونهم بالسكاكين الحادة ويرمونهم بنبال سهامهم وذلك كله يرغموهم على الكشف عن توماس لكن خاب أملهم فلم يستطيعوا ان ينالوا من الآباء ولم يحققوا مرادهم، ونتيجة لذلك بدأوا يقتادون الاباء ثانيةً إلى كهف ضيق داخل الكنيسة المسماة : المبنية من الله – وحشروهم داخل الكهف، وأخذوا يشعلون النيران الكثيفة عند فوهته.

إن الكنيسة المبنية من الله THEOKTISTOS عبارة عن مغارة طبيعية واسعة وعجيبة لها شكل كنيسة بتفاصيلها ولهذا دعيت بكنيسة اللافرا التي بناها الله. في القسم الشمالي من المغارة يوجد كهف وهذا الكهف حفرة الآباء القدماء وعملوا منه مكانا لحفظ الألبسة الكهنوتية المقدسة، كما تم الاحتفاظ بالمقتنيات الثمينة والاواني المقدسة فيه.

داخل المغارة وفي العمق كان يوجد شق ضيق وعميق في أحد جدرانها وكان هذا الشق عبارة عن طريق سري ضيق جداً ومعتم والطريق هذا كان متعرجاً وبشكل حلزوني ويؤدي بالنهاية بسالكهِ الى غرفة رئيس الدير. فمن خلال هذا الطريق كان أبونا القديس سابا في بعض الأحيان يسلكه ليصل عبره الى الكنيسة. أما آباء اللافرا لاحقاً قاموا بسد هذا الممر بالحجارة وأصبح مؤلماً جداً ان ينحشر بداخله أي انسان.

وكما أسلفنا سابقاً فإن البرابرة حشروا آباء داخل هذا الكهف الضيق بالمغارة وأشعلوا النيران من أعواد القصب المبلول بمواد حارقة ووضعوها عند فوهة الكهف. لعدم وجود مخرج أو منفس داخل الكهف أخذ الدخان المتصاعد يسبب حالات اختناق مؤلمة ومخيفة للآباء المحجوزين.

بعد مرور وقت كاف أمر البرابرة الآباء المحجورين داخل الكهف بان يخرجوا. كان على الآباء حينها أن يجتازوا المكان عبر السنة اللهب ولكن هذا بالنسبة لهم كان أفضل من أن يموتوا من رائحة الدخان والاختناق. كثيرٌ من الآباء كانت أرجلهم قد أصيبت بالحروق الشديدة وشعرهم أيضا احترق وكذلك لحاهم. فأمسك بها السفاحون وأخذوا يطالبونهم بالكشف عن المقتنيات الثمينة المخبأة. وإلا سينال الرهبان عقاباً أشد من ذي قبل. لكن الآباء اخذوا يستنشقون بلهفة الهواء النقي واذهانهم كلها مشغولة بالصلوات فلم يعيروا اهتماماً لأقوال السفهاء فالواحد منهم كان يقول : "أيها الرب الهي تقبل نفسي بسلام".

ونسمع آخر يقول : "أيها الرب بين يديك أستودع روحي". وآخر "أذكرني يا رب متى اتيت في ملكوتك" وآخرين كانوا يتلون صلوات اخرى متنوعة. وكذلك كانوا يقولون للبرابرة حالاً وسريعاً : "خذوا ملابسنا وكل مقتنياتنا الموجودة داخل قلاياتنا واذا اردتم ايضا تقدرون أن تقتلوننا وتتخلصوا منا فإنكم لن تسمعوا منا شيئاً آخر نضيفه عما قلنا لكم".

عندها أيقن البرابرة بأنهم لن يحققوا شيئاً فقد انذهلوا لمتانة الرابطة التي تجمع بين الآباء بالعاطفة والصبر والروح الأخوية. ولهذا أعادوهم عنوة الى داخل الكهف مع أن الآباء رجوهم أن يغتالوهم بالخارج لأنه كان أفضل لهم من أن يعانوا الموت اختناقاً بالدخان. اخذ السفهاء بإشعال النيران بكثافة وبعد مرور قليل من الوقت صرخوا نحو الآباء بأن يخرجوا ولكن عدد كبيراً منهم كان قد فارق الحياة. أما الناجون فكان عددهم قليل، فثمانية عشر من الآباء الذين كانوا محجوزين في الأماكن الضيقة بالكهف قد ماتوا. والذين نجوا من الدخان والنار فاللصوص ربما اشفقوا عليهم لكنهم عذبوهم وضربوهم وداسوا عليهم بالأرجل.

أيقن اللصوص بأنهم لم يحققوا هدفهم فسطوا على كل ما وجدوه داخل القلايات، وغرفة رئيس الدير وكذلك باقي اماكن اللافرا وبعد ان حملوا المسروقات على ظهور الجمال غادروا المكان.

6. أحداث ما بعد لمجزرة

بعد مضي بضع ساعات على مغادرة البرابرة الساريين للمكان تجمع الآباء الناجون بعدما استعادوا شيئاً من قواهم فاستطاعوا الوقوف على أرجلهم وبدأوا يعالجون الجرحى المثخنين بالجراح البليغة. وعند غروب الشمس وبعد أن خمد الدخان المتصاعد من الكهف اتجه الآباء نحو المغارة حاملين الشموع المضاءة بأيديهم فوجدوا القتلى، بعضهم كان ملقى ووجه باتجاه الارض والآخرون كانت وجوههم مغطاةً بألبستهم، فأخرجوهم من داخل المغارة والدموع تنهمر من عيونهم بغزارة ووضعوهم في ساحة الكنيسة بجانب جثة الشيخ سرجيوس المشوهة والتي تم قطع رأسه سابقاً وهكذا بلغ عدد الآباء الشهداء التسعة عشر. اقام الآباء خدمة الجناز على رفاقهم ثم قاموا بدفنهم كما هم بألبستهم في قبر جماعي في مكان واحد.

وفي اليوم التالي لخروج الآباء من المغارة والتي كانت تثير في نفوسهم العذابات الاليمة تراءى لأحد الرهبان كوزماس واقفاً أمامه ورأسه يرشح منه الزيت وبجا مسروراً ومتهللاً فعلامات الامتنان والرضى بادية على وجهه النضر. فذهل الراهب وتساءل في نفسه كيف يمكن له أن يحصل على هذا المظهر في ذلك المكان والزمان، ولم يكن يدري بأن كوزماس كان واحداً من بين القتلى. وتراءى ايضاً كوزماس لراهب هدوئي آخر يدعى سرجيوس وهو يهم بدخول الكنيسة المبنية من الله ليرى كم

من الآباء قتلوا فرأى كوزماس آتياً من مخبئه، وبعدما عمل له مطانية كالعادة تقدم كوزماس من الراهب قائلا: "صلوا من أجلنا" وبعدها بقليل شاهد سرجيوس كوزماس يرقد ميتاً بين القتلى فخرج للحال من ذلك المكان مذعوراً ليراه أمامه بالخارج. طبعاً لم يستطيع ان يدرك بأن ما شاهده كان رؤيا إلهية لتظهر قداسة الشهداء وخلودهم. من الآباء الذين بقوا أحياء، كثيرون كانوا مصابين بجروح وكسور في جمجمة الرأس وبأنحاء متفرقة من الجسم.

هؤلاء تم الاعتناء بعم من قِبَل الاب توماس بإمكانياته المحدودة، كما انه اضطر أن يجري عمليات جراحية صعبة داخل جمجمة الرأس وخارجها.

أحد الرهبان كان مصاباً بجروح بالغة في يده وكان متعذراً علاجه فتم ابلاغه بأن الأب توماس سيقوم بقطع يده فخاف الراهب جداً من الجراحة ولم يجرؤ عليها. لهذا تَلِفَت اليد وامتلأت عفناً. وبعد مرور أيام قليلة ترفي هذا الراهب ووضع بجانب الشهداء القديسون الذين معه، وبذلك بلغ عددهم العشرين.

لكن العدالة الالهية لم تتأخر فابتلى البرابرة بأمراض وبائية وكثيرون ماتوا بأمراض فتاكة أو قضوا جوعاً وهذا الموت الرحيم داهمهم جماعياً حتى لم يستطيع اقرباؤهم لكثرتهم ان يدفنوهم كما يجب، فقد اكتفوا بأن ألقوا فوقهم قليلاً من التراب ليغطوهم وبعض الموتى منهم تم القائهم داخل مغرٍ وكهوفٍ وحفر، فكانت الكلاب تنقب هنهم وتنهش جثثهم. عجيب هو الله الذي اجرى احكامه بعدل فنال البرابرة الساريون عقابهم بسرعة مذهلة.

إن أحداث ووقائع سيرة استشهاد الآباء قام بتدوينها القديس استفانوس الميلوذوسي الساباوي (ابن اخت القديس يوحنا الدمشقي) بسماح من رئيس اللافرا آنذاك باسيليوس.

7. استشهاد القديس خريستوفورس

والجدير ذكره أنه وقبل عدة سنوات من المجزرة كان قد نال الشهادة أيضاً راهبٌ يدعى خريستوفورس وكان هذا ينحدر بأصله من الساريين المتوحشين والمتخلفين. فاعتنق المسيحية وأصبح مؤمناً فيما بعد وراهباً وفي نهاية المطاف تم إعدامه وقطع رأسه بالسيف حيث أدين من قبل مجلس السارين بالردة. فاستشهد خريستوفورس في الرابع عشر من نيسان ثلاثة أيام قبل عيد صلب الرب سنة 789 م. أما ذكرى استشهاد الشيوخ الآباء فاحتفل به يوم الاربعاء العظيمة في العشرين من شهر آذار وبنفس التاريخ يعيد لذكراهم كل عام.

مذبحة الرهبان القديسين الشهداء 614 م

على مدى تاريخها لطالما تعرضت اللافرا المقدسة لأبينا البار سابا المتقدس لاعتداءات همجية. فكان البرابرة الساريين الخارجين عن القانون، يطعمون بالاستيلاء على اللافرا، وكافة محتوياتها. فكان الرهبان الساباويون يتعرضون لشتى أنواع التنكيل والتعذيب وكثيرٌ منهم يقطوا شهداء، وذخائرهم ما زالت محفوظة في اللافرا المقدسة حتى أيامنا الحاضرة. ومعظم هؤلاء الشهداء سقطوا على المذابح التي وقعت عام 614 م ، 796م، 809م، وكذلك 1187م.

فالمذبحة الأولى التي وقعت عام 614م شاهدها القديس أنطيوخوس البندكتي القابل الكل، وقام في اليوم التالي للمذبحة بدفن جثث اخوانه من الرهبان الشهداء. وهاك نبذة عن تلك المذبحة التي اقترفها الفرس دوّن وقائعها قديسنا أنطوخوس في رسالة بعثها إلى رئيس دير أتاليا ويدعى أفستاسيوس، أما ديره فكان يقع بالقرب من مدينة أنقرة الغلاطية.

"فيما يخص الشيوخ الرهبان الشهداء، لا يسعفني الوقت ولا يستطيع لساني أن يبوح ويحدّث بما حصل بالضبط. فإني اعترف بأن هؤلاء الشهداء القديسين كانوا من المجاهدين الحقيقيين والرهبان الهدوئيين، المتمرسين على حياة النسك الصادقة والتهجُّد. فكانوا يحتملون المشقات والضيقات بصبر المؤمنين بالرب يسوع المسيح له المجد. وكما أنهم شيوخ أجلاء، أنقياء القلوب، متواضعون حكماء، صادقون ويخافون الله، ينأون بأنفسهم عن كل عمل خبيث وحياتهم كلها ملؤها الحب والعشق الالهي. بعضهم قضى ما يزيد على الخمسين أو الستين عاماً في حياة الزهد والتقشف داخل اللافرا، ولم يبارحها قط، حتى لو لزيارة المدينة المقدسة. إنهم كانوا أشبه بملائكة في أجسام بشرية وصلواتهم لا تنقطع لا في ليل ولا في نهار، يسبحون الله ويباركون عظمته.

داهم الفُرس اللافرا المقدسة قبل سقوط اورشليم بأسبوع، جمع نفر من الرهبان المقتنيات الكنسية المقدسة فحملوها وغادروا الدير، تاركين خلفه عدداً من عبيد المسيح الصابرين الذين رفضوا بشدة ان يغادروا اللافرا فمعظمهم كانوا من الوافدين الجدد. وعندما دخل البرابرة اللافرا المقدسة، القوا القبض على جميع المتواجدين بداخلها. وأخذوا يسومونهم أشد العذابات النفسية والجسدية دون شفقة أو رحمة. ودامت هذه الحال عدة أيام، مارس البرابرة الفُرس ضغوطاً ضخمة على الرهبان كس يرشدوهم إلى أماكن تواجد المال أو المقتنيات الذهبية والفضية الثمينة. ولكن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع ولم ينجحوا في العثور على ما يريدون سواء داخل اللافرا أو حتى قلايات الرهبان لذا أخذوا يقطِّعونهم إرباً إرباً.

أما الضحايا فكانوا مغبوطين حتى أنه بانت على وجوههم علامات الارتياح والامتنان، فقد تحققت أمانيهم وأسلموا أرواحهم لسيدهم يسوع المسيح، فنالوا أكاليل المجد السماوي.

أما أجسادهم الطاهرة فقد بقيت مطروحة على الأرض عدة أيام، دون دفن إلى أن أتى اللافرا المقدسة قداسة البطريرك موذستوس الأورشليمي فجمع الأشلاء والدموع تنهمر غزيرة من عينيه، وأقام صلاة الجناز عليهم ودفنهم. بعدها أنهى البطريرك مراسم الجناز للشهداء رجا الرهبان الناجين الّا يغادروا المكان بل يمكثوا فيه ويثبتوا.

أما نحن البسطاء بنعمة الله وكتلامذة مطيعين لقداسة البطريرك موذستوس وكرهبان مكرسين حياتنا للصلاة والتعبد لله فشكرنا ومجدنا الله المحيي والميت الأزلي، صانع العجائب العظيمة وحده، لأنه منحنا أباً وراعياً صالحاً ليكون رئيساً لنا في اللافرا ويعتني بنا روحياً وجسدياً. فقد تم اختيار شاب حديث السن ومستحق هذا يدعى توماس، فقد كان واحداً من الرهبان الهدوئيين، وهو نعم الأخ، كان عطوفاً وديعاً متواضع القلب، حاراً في صلواته، أميناً وصادقاً في تطبيق القوانين الكنسية. خلال فترة رئاسته بعون الله تضاعف عدد التلاميذ في اللافرا المقدسة، وقد بلغ عدد القتلى من النساك الشهداء في تلك المذبحة أربعاً وأربعين شهيداً.

ويعيد لهم في 16 أيار في الكنيسة المبنية من الله حيث توجد رفاتهم وذخائرهم.

سيرة أبينا البار أنثيموس أنجليستوس (المنطوي على ذاته)

ولد القديس أنثيموس في بيثينيه بآسيا الصغرى، وعندما أتى إلى اللافرا كان القديس سابا ما يزال على قيد الحياة، فاستقبله القديس فأعطاه بركة، وذهب ليسكن في احدى المغر محبوساً، وكانت المغارة تبعد قليلاً عن مجرى سيل المياه العادمة الذي يمر بقرب الدير "الديماس" وهو بالضبط قبالة برج القديس سابا، فعاش فيه مدة الثلاثين عاماً، حتى طعن في السن فمرض، وعندما رأى القديس سابا جسده المنهك رجاه أن يأتي ليسكن داخل الدير ليبقى قريباً من الكنيسة، ليتمكن الآباء من خدمته، ولكن القديس العجوز رفض ذلك وقال : "هنا كنت قد بدأت جهادي الرهباني وهنا سأبقى حتى النهاية".

وفي إحدى الليالي سمع القديس سابا ترانيماً عذبة فنهض ليستطلع الأمر وكان يسأل نفسه كيف تقام خدمة قداس دون أخذ بركته؟ فَنَزَل ورأى الكنيسة مغلقة، وعندما عاد أدراجه، أخذ متعجباً وأصل بيت الله بصوتي مسروراً ومعترفاً بلحن المُعيدين الشجي".

أدرك القديس سابا من أين كان يأتي صوت الترانيم، فأيقظ الآباء فحملوا السموع وذهبوا إلى مغارة القديس أنثيموس فوجدوا القديس وقد كان متهيئاً للصلاة عندما أسلم الروح.

بعد أن أتموا المراسم الجنائزية وضعوا جسد القديس في احدى الصناديق المقدسة.

يُعيَّد لذكراه، في اليوم السابع من حزيران.

القديس أندراوس رئيس أساقفة كريت (الأورشليمي)

ولد القديس أندراوس في دمشق في حوالي منتصف القرن السابع الميلادي. ونشأ في أسرة عريقة فاضلة، ولمّا بلغ سن الشباب، سافر إلى المدينة المقدسة أورشليم، وهناك صار راهباً في اللافرا المقدسة للقديس سابا المتقدس، وتمرّس على حياة النسك والصلاة والتعبد لله، وبعد حين انضم إلى رجال الإكليروس في أورشليم وقد عمل كأمين سر البطريركية ومساعد المدبر في القبر المقدس.

ذهب إلى القسطنطينية عام 680م. كمبعوث من البطريركية الأورشليمية، واشترك في أعمال المجمع المسكوني السادس ووقّع مع آباء المجمع قانون الايمان الذي أظهر أن للمسيح مشيئتين، كما أنّ له طبيعتين كاملتين، وبعدها عاد إلى أورشليم حيث خدم النفوس بإخلاص وتفانٍ. ولما توفي رئيس أساقفة كريت، انتُخِبَ ليكون رئيس أساقفة على غرتينه في تلك الجزيرة، وكان ذلك في أوائل القرن الثامن. وقد عُرِف باهتمامه في بناء وتجديد الكنائس في أبرشيته، واشتهر بمواعظه الروحية.

توفي في الرابع من تموز عام 740 م. عندما كان عائداً في البحر من القسطنطينية إلى كريت، حيث كان المركب بالقرب من لزفوس، فدفن في شاطئ إيريسوس، خلف الهيكل ف

الكنيسة الباسيليكية الكبيرة. ونُعيّد له في الرابع من تموز.

لقد وضع قديسنا الصلوات والترانيم الكنسية ومنها القانون الخشوعي الكبير الذي يتلى في يوم الخميس من الاسبوع الخامس من الصوم الأربعيني المقدس، وكله استغفار واسترحام وإذلال للنفس وتواضع ومنها تسابيح عديدة في مديح والدة الاله. ويقسّم عمله إلى قسمين:

قسم المواعظ يتألف من خطب ومواعظ مختلفة، تعود في غالبيتها إلى أعياد والديه وأعياد قديسين مختلفين، وقسم شعري: يتألف من أناشيد روحية لمناسبات مختلفة على مدار السنة، يعتبر بعض الباحثين القديس أندراوس باعثَ الشكل الشعري الجديد، ألا وهو "القانون" فقد لعب دوراً كبيراً في نموه وفي تطوره.

لقد كان ناظماً كبيراً وعظيماً، يسبق جميع الناظمين من ناحية التنوع في أشعاره وكثرة الأراميس المستخدمة فيها. لكنه يظهر علة وتيرةٍ واحدة في النظم. كما أن غالبية الأراميس المستخدمة في أشعاره متأتية من التسابيح الكتابية، أما الطروباريات اللاحقة لهذه الأراميس فلم تكن منظومة تماماً وفقها، كما يفترض نظام المقاطع المتساوية. لقد وضع أندراوس قوانين ثلاثية الأدوية، ترتل في صلوات النوم الكبرى في الصيام الأربعيني . وإذيوميلات واستيشيرات أيضاً لمناسبات مختلفة، مثل: إيذيوميلات أينوس عيد الميلاد واستيشيرات 29 حزيران، والتي تعتبر من أهم مؤلفاته، وإيذيوميلات ليتين الرسولين بطرس وبولس، ودخول السيد إلى الهيكل والبشارة ورفع الصليب والرسول أندراوس (30) تشرين الثاني، وميلاد السابق (20 تموز) وذيونيسيوس الأريوباغي (3 تشرين الأول) والشهداء بروفوس وطاراخوس وأندرونيكوس (12 تشرين الأول) والقديس ذيمتريوس (26 تشرين الأول) وأطفال بيت لحم (26 كانون الأول) وغيرها.

كما وضع لمناسبات مختلفة: ميلاد السيدة (8 أيلول) ، حبل القديسة حنه (9 كانون الأول) ، القديسون المكابيون (1 آب) ، قطع رأس السابق (29 آب) القديس أغناطيوس المتوشح بالله. (20 كانون الأول) ، نصف الخمسين وأحد حاملات الطيب وغيرها.

ويعتبر القانون الكبير من أشهر مؤلفات أندراوس وهو يتألف من 250 طروبارية. لقد وضع أندراوس طروباريات على عدد استيخونات التسابيح الكتابية، كي ترتل كل طروبارية من أوديات القانون بعد أستيخن من التسبحة المقابلة. يدور هذا القانون الكبير حول التوبة، ويرتل بكامله في سحر الخميس من الأسبوع الأول من الصوم. ويلجأ فيه الى العهد القديم والجديد حيث يستخدم منها نماذج للتوبة.

القديس استيفانوس الساباوي والعجائبي

هو ابن اخت القديس يوحنا الدمشقي، ولد ف مدينة دمشق عام 725 م. وأخذه خاله يوحنا معه إلى دير القديس سابا، وهو في التاسعة من العمر، بعدما نفي والده نعمة الله إلى أطراف الصحراء.

أخذ استفانوس عن خاله العلوم والآداب كما تعلم منه الحياة الرهبانية وقد التصق به إلى وفاته عام 749م. انكبّ على الصلاة ونظم الأناشيد الكنسية ولقب بالمرنم وإليه تنسب سيرة الآباء الشهداء العشرين الذين قتلوا في مذبحة اللافرا عام 796م.

كثيراً ما كان يطوف في أطراف البرية وعندما كان يلتقي بالحيوانات البرية المتوحشة، كان يطعمها بكلتا يديه. عجائب عديدة اجترعت على يدي القديس استفانوس في حياته. ففي أحد الأيام ضرب الأرض بعصاه، فتفجر ينبوع ماء من باطن الأرض وسقي تلميذه الشديد الظمأ، وفي إحدى المرات استطاع أن يطرد الأرواح الشريرة من فتاة ممسوسة وشفيت.

وهكذا أحرز تقدماً كبيراً في جهاده الروحي وكافأه الرب بنعمة اجتراع العجائب. وقد رقد في الرب بسلام في الثالث عشر من تموز.

القديس الشهيد ميخائيل الساباوي

القديس ميخائيل الساباوي هو ابن أخ القديس ثيودوروس أسقف إيذيسا، كان شاباً صغيراً ذا طلعة جميلة، عندما التحق بعمه القديس ثيودوروس وتتلمذ على يديه فاكتسب منه أعظم الفضائل. في ذلك الزمن تواجد في مدينة أورشليم ملك الفرس الملم أبيمالك وكانت ترفقه زوجته سعدى، عندما أُرسل القديس ميخائيل كي يبيع أعماله اليدوية، فوصل المدينة المقدسة وقام بالصلاة والتعبد في الأماكن المقدسة فيها وبعدها ذهب الى الفندق التابع للافرا.

وبينما كان يتنقل في السوق، التقى بأحد خدام الملك وعرض عليه أعماله اليدوية، فأعجب بها كثيراً وقدّمها للملك كي يشتريها أيضاً.

ولكن عندما شاهدت الملكة قديسنا، تملكها شعور بالعشق اتجاهه فسألته عن حاله. فأجاب القديس ميخائيل بأنه ناسك في اللافرا الكبيرة (لافرا القديس سابا). فأضمرت حبّه في نفسها وظنّت أنها تستطيع بسهولة أن تستميله.

وقالت له :"إذا كنت عبداً لأحد أستطيع أن احررك وإذا كنت مريضاً دعني أعالجك، وإذا كنت فقيراً سأجعلك غنياً ". فأجابها القديس: "كنت أسيراً للعالم وعبداً للخطيئة فحررني سيدي يسوع المسيح الذي أخلى نفسه آخذاً هيئة عبدٍ ومن أمراضي شفاني وعوضاً عن فقري أغناني". وعندما رأت المحتالة المخادعة بأن أساليبها قد فشلت معه أخذت تهدده ومن ثم أرسلته مكبلاً بالسلاسل الحديدية إلى الملك، زاعمه ومدّعية عليه بأنه اقتحم حجرتها وأخذ يكيل لها بالشتائم. عندما مثل ميخائيل أمام الملك، لم يسجد أمامه كما هي العادة. فقال له الملك: "عليك أن تعتنق ديانتنا أو أن تموت بجد السيف". أما القديس ميخائيل فلم يهتز لسماع هذه الأقوال وأجاب بأنّ على الملك ان يختار ما بين أمرين أولهما، أن يُرسل إلى معلمه الشيخ الراهب، ليتتلمذ على يديه أو أن يرسل مباشرة إلى المسيح حتى يصير مسيحياً. فغضب الملك من جرأة القديس وأمر بأن يؤتي له بكأسٍ مملوءٍ سماً زُعافاً ليشرب منه القديس.

فأمسك قديسنا الكأس بعد أن رسم عليها إشارة الصليب وشرب حتى الثمالة فلم يحصل له شيء، تحقيقاً للنبوءة القائلة: "يشربون السّم ولا يُضرون". وعندما حدثت هذه المعجزة فرح المسيحيون كثيراً لأن الرب أظهر قدرته وحزن وغضب المسلمون وعندما شاهد الملك غضب الشعب أمر بتقطيع جسد القديس.

فتم اقتياد القديس الى خارج أسوار المدينة المقدسة أورشليم وبعدما أتم صلاته تقدم للشهادة لينال إكليل المجد السماوي.

بعد ذلك جاء الآباء الساباويون كي يستلموا جثته، لكن أهل اورشليم اصروا على أن الشهيد ينتمي إليهم، أما الرهبان فقالوا بأنه ابن القديس سابا وأحد أولاده مثله مثل كل الرهبان في اللافرا المقدسة. وعندما علم الملك بالنزاع القائم على جسد القديس أمر بتسليم جثمانه إلى آباء دير القديس سابا.

بينما كان القديس ثيودوروس (عمه) يصلي في نفس اليوم أنعم الله عليه برؤيا سماوية بخصوص القديس واستشهاده. أمّا رئيس الدير وآباء اللافرا، فحملوا الشموع والطيوب وشرعوا في التحضير لجنازة القديس الطاهر المُسجى داخل الكنيسة. حدث أن كان موجوداً في اللافرا راهباً يدعى يورغوس وكان طريح الفراش، فأخذ هذا الراهب يرجو شفاعة القديس من أجل مرضه، وحدثت المعجزة وشُفي لراهب، مما اضطره أن ينفجر باكياً وبدموع غزيرة أمام جثمان الشهيد وشاكراً إياه على شفاعته عند المخلص من أجل مرضه وحمل الآباء الجثمان ووضعوه قرب الآباء الخالدين.

ويذكر أن رئيس الدير الروسي دانيال، (1107-1166) في مذكراته ورد بأنه كانت تُجرى الصلاة على رفات خمس من القديسين بقيت أجسادهم محفوظة كما هي دون أن تبلى وهم القديس يوحنا الدمشقي، والقديس يوحنا أسقف كولونيا، والقديس ميخائيل الشهيد ورفات قدّيسين آخريْن، موجودةٌ حسب المتعارف عليه في اللافرا ولكنها مخبأة في مكان مجهول لا يعرفه أحد في الوقت الحاضر.

يُعيّد لذكرى القديس الشهيد ف التاسع عشر من تموز.

القديس ثيوذوروس أسقف أيذيسا

ولد القديس ثيودوروس في بلاد ما بين النهرين بإيذيسا في القران الثامن الميلادي والداه كانوا يدعيان سمعان وماريا. وفي سن مبكرة من عمره فقد والديه وأصبح يتيماً. فما كان منه إلا أن وزّع ثروته التي ورثها منها على الفقراء والمساكين، وخرج لزيارة الأراضي المقدسة في فلسطين.

وبعد أن أتمّ جميع واجباته الدينية وصلواته في أماكن العبادة المقدسة والأديرة التي زارها، انتهى به المطاف إلى لافرا القديس سابا الشهيرة آنذاك وكان رئيس اللافرا حلق شعر رأسه ونذر نفسه راهباً لله.

أظهر ثيوذوروس طاعةُ تامة لرؤسائه فكان يلبي جميع الأعمال المنوطة به وصار معروفاً جداً بين أقرانه بحماسة المنقطع النظير وجاهزيته للقيام بأية أعمال قد يؤمر بتنفيذها. لمس رئيس اللافرا رغبةً عارمةً وغيرةً ومحبةً عند ثيوذوروس للنهج الرهباني الهدوئي، فسمح له بأن يعتكف عاماً في التنسك والتعبد لله، وخلالهما لم يكن

يملك إلا ثوباً واحداً يلبسه وكان يقتات على الخبز وحده والماء النقي وعادةً لم يكن ينام أكثر من ساعة أو اثنتين يومياً لتلبية حاجات الجسد ليس إلا.

وفي أوقات التعبد والصلاة كان ثيوذوروس يظل واقفاً كالتمثال، والليل كان يقضيه ساهراً مصلياً. وكان يحظى بموهبة التعليم، فكان يعلم الرهبان المبتدئين وكذلك العلمانيين. أخذ الآباء يرجونه أن يدون أشعارهم الروحية ذات المنفعة العظمى للنفوس فكان يلبي طلبهم ويقوم بذلك بسرعة وتميز. وحفظ تلك الكتابات في مائة فصل.

في تلك الفترة صادف أن قدم إلى الاماكن المقدسة بطريرك أنطاكية لقضاء عيد الفصح المجيد. وخلال إقامة ذلك البطريرك في أورشليم أتى من إيذيسا كثيرُ من الكهنة والشعب المؤمن وطالبوا أن يعين لعم أسقف وخصوصاً أنه من فترة طويلة كان قد توفي رئيس كهنته، عندما رشِّح بطريرك أورشليم القديس ثيودوروس لهذا المنصب لكونه أكثر ملائمة له. وعندما سمع القديس بخبر انتخابه أخذ يرجوهم ودموعه تنساب على خديه بغزارة أن يعفوه من هذا التعيين وكان يقول لهم بأنه غير مستحق أن يشغل هذا المنصب. لكنهم لم يستجيبوا لتوسلاته فتمت شرطنته أسقفاً يوم الخميس العظيم من قبل البطاركة الاثنين وجمع غفير من الأساقفة. وبعد انقضاء عيد الفصح المجيد، غادر اللافرا مودعاً بالدموع أحباءه الآباء فرحل وبرفقته أناس كثيرون إلى إيذيسا.

في الطريق كان يجول في فكره حياة الهدوء والبرية وكان يتوقُ في سره للعودة إلى نهج حياته الهدوئي. لكنه رأى رؤيا تذكاره بأن عليه أن يذكر دائماً بأنه خادم للمواهب الخمسة التي كان يتمتع بها. ومنذ ذلك الوقت لم يدخر جهداً في زيادة مواهبه هذه التي كان مؤتمن عليها. وعندما وصل إيذيسا، بدأ يعلم ويهتم برعاية قطيعه وحمايته من أولئك المنشقين العصاة الذين كانوا يعتقدون بالمشيئة الواحدة للمسيح والذين كانوا على الدوام يسببون له مشاكل جمّة. بعد ذلك حصل أن تعرّف على الملك وكان هذا يحتضر ويعاني من مرض عضال. فصلّى له القديس، فشفي، وبعدها ارتبط الاثنان بصداقة حميمة. تمّ تعميد الملك سراّ من قبل الأسقف ثيودوروس وبحضور ثلاثة من الشهود فقط.

وفي العماد أُعطي للملك اسم يوحنا. هذا الملك الحديث الاستنارة عبّر عن رغبته في الحصول على جزء من عود الصليب المحيي. فذهب القديس ثيودوروس إلى بيزنطة وهناك حصل على مراده وقفل عائداً إلى إيذيسا وسلّم الملك الهدية الثمينة التي أفرحته كثيراً. في تلك الليلة بينما كان الملك يصلّي بخشوع، وبعد أن تناول القربان المقدس وقبل الأسرار الطاهرة، خرج من بلاط قصره، وذهب إلى مكان يتجمع فيه عامة الشعب وأَعلن للملأ بأنه مسيحي ويدعى يوحنا. وعندما هاج الشعب وأُصيب بالجنون، فهاجموا الملك بوحشية وكذلك ثلاثة من خدامهِ.

وعندما شاهد القديس ثيودوروس ما حصل للملك المسكين أدرك بصيرته بأنه يجب عليه أن يُغادر المكان من أجل المسيح. وعاد إلى أورشليم، هناك وزع ما كان يملكه على الفقراء وانتقل إلى اللافرا المقدسة مرّة أخرى، فمكث مدّة ثلاثة أسابيع خلالها كان يتناول باستمرار الأسرار الطاهرة، وبعدها بقليل مرض وأخذ يرتل: "المجد لك أيها الثالوث رجاءنا" ، "أيها الرب بين يديك أستودع روحي" ، "تقبّل أيها الرب نفس عبدك".

شارك البطريرك الأورشليمي وجمع غفير من الإكليروس في جنازتهِ.

يُعيّد لذكرى رُقاده في التاسع عشر من تموز.

القديس الشهيد يورغوس "جريس التلحمي"

عاش هذا القديس في القرن التاسع الميلادي. أما الكتابات المقدسة فلا تذكر لنا شيئاً عن أصل هذا القديس، أين وكيف عاش ولكن وبدون شك خدم 27 عاماً بوظيفة شمّاس في دير مار سابا الشهير في فلسطين، بعدها غادر الدير مسافراً إلى أفريقيا وانتهى به المطاف في الأندلس (إسبانيا).

استشهد هو وأربعة آخرون هم أبريليوس وفنيليكوس وزوجتيهما الشهيدة نتاليا وليليوزا، وكان ذلك بأمر الخليفة عبد الرحمن الثاني في مدينة قرطبة في إسبانيا. فتم قطع رأسه بتهمة الإساءة الى اسم النبي محمد في 27 تموز عام 852 م. أمّا جسده الطاهر دفنه أولاً في دير بينا‌ميلاريا، ولاحقاً في سنة 858م. تمّ نقل رفاته لكنيسة القديس جرمانوس في باريس.

يُعيّد لذكراه في 27 تموز وهو ذكرى استشهاده.

القديس هيلاريون الإيبيري

من عائلة ملكية، تنسك برفقة عدد من الفتية وهو في الخامسة عشرة من العمر، ذاع صيت فضائله في طول البلاد وعرضها. أراده الملك أسقفاً على جورجيا، لكنه آثر حياة التحد. عمل على نقل بعض كتب الآباء عن اليونانية.

أقام في دير القديس سابا في فلسطين سبعاً وعشرين سنةً وبعدها عاد إلى جورجيا، أسس عدة أديرة شركة رقد في الرب بسلام في التاسع عشر من تشرين الثاني من عام 882 م.

يُعيّد لذكراه في السابع والعشرين من تموز.

القديس يوناس الساباوي

عاش القديس في القرن الثامن الميلادي. وكان هذا القديس متقدماً في الرتبة وهو والد القديسين المعترفين ثيوذوروس (عطاالله) وثيوفانس (مظهر الله) الملقبين أيضاً بالموسومين. واللذين واجها بكتابهما الإمبراطور ثيوفيلوس محارب الأيقونات والذي أمر بوسم جباههم باثني عشر بيتاً شعرياً منظوماً، تُفيد بأن هذين القديسين وُسما بسبب إيمانهما ودفاعهما عن الأيقونات.

وقديسنا هذا التحق باللافرا المقدسة للقديس سابا المتقدس وفيها اكتسب فضائل عظيمة وقد كان يجهد نفسه بالأتعاب والصوم والصلاة ولقد عمّر طويلاً حتى رقد بالرب في الحادي والعشرين من أيلول لذلك يُعيّد لذكراه في الحادي والعشرين من أيلول.

يُذكر في السنكسار الأنطاكي تحت اسم يوحنا الشبطي.

القديس ثيوفانس الموسوم

ولد القديس ثيوفانس وترعرع في أورشليم من أُسرة امتازت بفضائل ثلاث: "التقوى والضيافة ومحبة العلم".

وقد وفر له والده هو وأخاه الأكبر ثيودوروس فرص تلقي ما كان معروفاً في وسطهما من علوم دنيوية وعلم إلهي، ثم أرسلاهما إلى دير القديس سابا في فلسطين لاستكمال معرفتهما، لا سيما أُصول الحياة الرهبانية.

فأمّا ثيودوروس، الذي تعيد له الكنيسة في اليوم السابع والعشرين من شهر كانون الأول فقد جمع إلى التواضع والطاعة الرهبانية، علماً لاهوتياً جزيلاً حتى كان أحد أبرز المعلمين في زمانه. وأما ثيوفانس فلم ينقص عن أخيه في شيء من فضائل الحياة الرهبانية والملائكية، وقد برع إلى ذلك في نظم الأشعار الكنسية والتراتيل من هنا لقّب

بالمرنم أو المنشئ. وقد سيمَ كلا الأخوين كاهناً. فلمّا أثار الامبراطور البيزنطي لاون الأرمني (813-821م) موجة من الاضطهاد ضد مكرمي الأيقونات المقدسة، شاء البطريرك توما الأورشليمي – الذي كان على الأرثوذكسية- وكان في مأمن من شرور الامبراطور بعدما أضحت أورشليم في يد العرب.

ابتداء من العام 813 م. أراد أن يُقارع لاون بالحُجة علّه يرتد إلى صوابه. فأرسل إليه بعثةً قوامُها الاخوان العالمان ثيوذوروس وثيوفانيس وأبوهما الروحي العلّمة ميخائيل السنجلوس.

حاول الامبراطور في بادئ الأمر أن يستميل الجماعة إلى حزبه، فلمّا تعذر عليه ذلك، أسلم الأخوين إلى المعذبين، ثم نفاهما إلى إحدى جزر البحر الأسود وحَظَر على أيّ كان أن يقدم لهم العون، حتى في ضروريات عيشهما. وقد أقام الاخوان على هذه الحال ردحاً من الزمان إلى أن ثار عبيد لاون عليه وقتلوه ليلة عيد الميلاد من العام 821م.

ومَلكَ بعد لاون، ميخائيل الثاني المعروف بالألثغ (821- 829م). فعرف مكرّموا الأيقونات في أيامه هدنةً دون أن يُحسم الأمر في النزاع القائم الى هذا الجانب أو ذاك. وقد سمحت هذه الحال للأخوين أن يعودوا إلى القسطنطينية حيث أخذا ينشران بهمة واندفاع ما علّمه المجمع النيقاوي الثاني (787م). بشأن إكرام الأيقونات. لكن حسد بطريرك القسطنطينية الهرطوقي آنذاك واسمه يوحنا أعادهما إلى المنفى من جديد.

وما أن ارتقى سُدة العرش ثيوفيلوس، ابن ميخائيل حتى اشتدت قبضة الاضطهاد من جديد، وتفوق عمّا كانت عليه في السابق. فأرسل في طلب الأخوين ثيودوروس وثيفانس من المنفى وحاول أن يستقطبهما. فلمّا لم يفلح عذبهما بوحشيّةٍ وأمر بوسمهما على جبهة فخُطت بوخز الإبر والنار أبيات من الشعر تبلغ اثني عشر بيتاً على جبهة كل منهما تبين أسباب العقوبة الموقعة بها. بعد ذلك أعادهما إلى المنفى ولكنه أرسلهما هذه المرة إلى أفاميا، في بيثينية أسلم ثيوذوروس الروح بعدها طعن في السن وقضي خمسة وعشرين سنة في الاضطهاد.

أمّا ثيوفانس فكان لا يوال بعد قوي البنية، فبقي في المنفى إلى أن مات ثيوفيلوس الامبراطور سنة 842م. وقد كان موت ثيوفيلوس إيذاناً بانتهاء سلسلة الحملات المتقطعة على مكرمي الايقونات منذ العام 726م. ثم أن ثيوفانس اختير أسقفاً على مدينة نيقية فأقام راعياً لشعبها إلى أن رقد بسلام الرب عام 847م.

هذا وقد كتب ثيوفانس خلال فترة اضطهاده ما لا يقل عن مائة وخمسة وأربعين قانوناً ما يزال الكثير منها يُرتل إلى اليوم، لا سيما في الأعياد السيدية والقديسين.

يعيد لذكراه في الحادي عشر من تشرين الأول.

القديس قزما الميلوذوس (المرتل)

إن قديسنا قزما ولد في المدينة المقدسة عام 685 م. ومنذ صغره أصبح يتيماً فتبناه والد القديس يوحنا الدمشقي سرجيوس وأخذ يربيه في بيته مع أبناءه.

منذ نعومة أظافرهما – القديسان يوحنا وقزما – تتلمذا على يد معلم يدعى أيضاً قزما ينحدر من صقليه وكان هذا قد وقع أسيراً بأيدي الأمويين فافتداه سرجيوس والد القديس يوحنا الدمشقي ومن ساعتها عهد إليه تثقيف وتعليم أبنائه العلوم والفلسفة والحكمة وعلى الأخص الكتب الكنسية المقدسة.

وبعد ذلك الوقت وفي بداية القرن الثامن قَدِمَ القديسان إلى اللافرا المقدسة للقديس سابا المتقدس وكرّسا حياتهما رهباناً.

عندما شاهد البطريرك الكرسي الأورشليمي يوحنا حسن سيرة وفطنة القديس قزما شرطنه أسقفاً على مايوما عام 743م. التي هي اليوم ميلبس وتقع قرب ميناء غزة والتي كانت تدعى في بعض الفترات أنثيدون وفي عهد القديس قسطنطين دعيت قسطنطينية نسبة لاسم ابنه قسطنديوس ولقد ترك لنا هذا القديس الكثير من الطروباريات والقوانين الكنسية وكذلك المؤلفات الكنسية ولهذا دعي بالميلوذي "مؤلف التراتيل" أو المقدسي، ولقد عمّر سنين عديدة حتى طعن في السن ورقد بسلام بالرب على الأغلب عام 760م.

تُعيّد له الكنيسة في الرابع عشر من تشرين الأول.

اشتهر قزما كناظم تسابيح وكمرنم أيضاً. وكان نظمه إيقاعياً رقيقاً، ولغته سلسةً ومتماسكة وألحانه عذبة جميلةً. اعتمد مواضيعه من الكتاب المقدس وحياة القديسين، وتأثرت صياغته بلغة آباء الكنيسة (وخاصة غريغوريوس اللاهوتي)، فجاءت تسابيحه حاملة عبارات وجملاً مستقاةً، كما هي، من مواعظ غريغوريوس اللاهوتي، كما في قوانين الميلاد والظهور والعنصرة وضع قزما تسابيح كثيرة لأعياد سيدية ووالدية وبعض بعض القديسين. وتعتبر قوانينه من أهم أعماله الشعرية، حيث يعتبر الرائد في هذا النمط مع أندراوس الكريتي ويوحنا الدمشقي، كما يعتبر قزما من المساهمين الأساسيين في كتاب التريودي.

تحمل قوانينه عنوان اكروستيخيس – متعدد الأشكال – ولكنه غالباً ما يعود للحدث أو القديس المعيَّد له.

الطروباريات اللاحقة للأرمس في كل أودية تكون عادة اثنين أو ثلاثة ، ونادراً ما تكون واحدة او أربعة. وقد حَفظت سبعة أعياد سيدية قوانينه : الميلاد (المسيح ولد فمجدوه...) والظهور (إن الرب المقتدر...) والعنصرة (لنسبح الذي غمر...) ورفع الصليب ودخول السيد إلى الهيكل (إن عمق اليابسة...) والشعانين والتجلي. وهناك العديد من القوانين الأخرى المحفوظة في الكتب الطقسية والعائدة إليه (غريغوريس اللاهوتي 25 كانون الثاني / 26 كانون الأول ..). وجدير بالانتباه أن قُزما لم يستعمل في نظمه اللحن الخامس.

وضع قزما قوانين الأسبوع العظيم أيضاً، أي الأوديات الثلاث لتريودي أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء العظيمة، وقانون الخميس العظيم، والسابعة والثامنة والتاسعة من قانون السبت العظيم. وتحمل قوانين الأسبوع العظيم هذه عنواناً واحداً متكرراً :

"أرتل في الاثنين والثلاثاء والأربعاء

وأمجد بتسبيح طويل في الخميس الكبير

أما السبت فأترنم بسبت عظيم "

نظم قزما أيضاً قوانين تعتمد النمط المقطعي محفوظة في مكتبة أورشليم. كما وضع أيضاً إيذيوميلات كثيرة، استعمل العديد منها في الكتب الطقسية، مثل الطروباريات الخمسة الأولى من خدمة الليتين للظهور، وقطع أبو ستيخين 2 شباط، وذكصاليتين 25 آذار، وذكصا إينوس 29 حزيران، والإيذيوميلات الثلاث الأولى بغروب 6 آب وغيرها.

وإن الطروبارية الأولى من أبو ستيخن 2 شباط ترجمت إلى اللاتينية، وهي قيد الاستعمال الليتورجي حتى اليوم في النيسة الرومانية الكاثوليكية.

وقد دخل أرمس الأودية التاسعة لقانون الجمعة العظيمة (يا من هي أكرم...) إلى الاستعمال الليتورجي اليومي في خدمة السحر.

القديس إستفانوس الساباوي الكاهن

تشير المصادر القديمة إلى وجود قديسين يحملان الاسم نفسه وكلاهما ترهّب فيدير القديس سابا في وقت يكاد يكون واحداً. فأمّا قديسنا فقد ولد في بداية الثامن للميلاد في قرية من قرى عسقلان الفلسطينية. كان يتيم الوالدين، وقد أخذه إليه عمه زكريا الذي كان راهباً في دير القديس سابا، فاقتبل الإسكيم الرهباني ولازم عمه طائعاً، سالكاً فيا الجهادات النسكية خمسة عشر عاماً.

بعد ذلك غادر عمه الى مكان آخر ليرأس أحد الأديرة. وقد عمل في دير القديس سابا خبازاً فمضيفاً فشماساً فقيّماً على نظام الصلوات وقد أبدى في كل خدمة تفانياً وطاعة وتواضعاً ومحبة خالصة جعلته في أعين الرهبان الباقين أقرب إلى الملاك النازل من السماء.

ولما تحرر البار أستفانوس من مشيئته الذاتية تقدم في حياة التوحد تقدماً كبيراً، فعاش في خلوة خمس سنوات قضاها في الصلاة المستمرة والصوم ولا يخرج إلا السبت والأحد ليشترك مع الأخوة في الصلاة والترانيم والاحتفال بالقداس الالهي وتناول القربان المقدس وكان من غوصة في محبة الله أن اعتاد الخروج بعيداً عن الدير لكي لا ينثلم تأمله في الالهيات بشيء.

ثم بعد خمس عشرة سنة اقتبل بعض التلاميذ. وقد منَّ عليه الله، عندما بلغ اللاهوى، بنعمة التأثير العجائبي في مجرى الأحداث لخير الاخوة في الدير.

عرف بيوم وفاته سلفاً. وقد رقد بالرب في سلام عام 794م.

يُعيّد لذكراه في الثامن والعشرين من تشرين الأول.

القديس لازاروس غاليسيوتيس "أليعازر العمودي الغلاطي"

ولد هذا القديس في قرية بالقرب من مغنيسيا في آسيا الوسطى عام 1030م. عند ولادته حدثت معجزة، بأنه ملأ المكان بنور سماوي، وما أن كبر قليلاً حتى أخذ يوجه نظرهُ نحو الشرق، ويصلي. وعندما بلغ الخامسة من عمره، سلمه والده لمعلمٍ ليعلمه قراءة الكتب المقدسة، وعندما أصبح شاباً رغب كثيراً في زيارة الأماكن المقدسة في فلسطين، فأتاها وأتم فيها جميع العبادات والصلوات الموجبة، وبعدها ذهب إلى لافرا القديس سابا، وأصبح راهباً ثم أصبح شماساً في خدمة الكنيسة لمدة عشر سنوات أظهر حلالها تفانياً وغيرةً وحماساً، وخلال فترة الصوم الأربعيني الكبير كان يغادر الدير ويذهب بعيداً في صحراء يهوذا فكان يقتات على الجراد- ويشرب الماء العذب باعتدال وليس يومياً. عندما رأى رئيس الدير سيرته النقية، اضطر أن يشرطنه كاهناً، وكثيراً ما رفض أن يشرطن من قبل البطريرك الأورشليمي أسقفاً. ولأنه كان عاشقاً للهدوء

وجدَ مكاناً مناسباً وبنى فيه عموداً وصعد عليه وكان ينبذ كل الاهتمامات الدنيوية ويقطع مشيئته الذاتية فعاش مجاهداً برجولةٍ وبسالةٍ يحارب الأرواح الشيطانية الشريرة. وفي يوم من الأيام، بينما كان ماشياً في وسط البرية سمع صوتاً يطالبه بالعودة إلى وطنه فعاد حالاً وذهب إلى جبل غلاطية، وهناك أسس دير القيامة على نفقة الامبراطور قسطنطين المجاهد. قرب معبد الكنيسة بنى عموداً وصعد فوقه وأخذ يجهد نفسه بالصلاة والصوم فتجمع حوله تسعمائة من الرهبان. عاش قديسنا سنيناً عديدة قبل أن يرقد في الرب ولقد مجده الرب عند موته كما حدث عند ولادته فحزن تلاميذه كثيراً لخسارته خصوصاً أنه لم يترك لهم وصية مكتوبة وبينما هم في حزن شديد يتأملون جسد القديس عادت روح القديس إليه، فقام ونهض وأخرج ورقة من صندوقه وأعطاها لتلاميذه ثم عاد ورقد مرةً ثانيةً.

بعد هذه الأعجوبة الكبيرة أخذ الآباء جسد القديس الطاهر ودهنوه بالطيوب ووضعوه في تابوت ثمين وهم يمجدون الله ودفنوه قرب العامود حيث حدثت هناك عدة عجائب تمجيداً لله وإظهاراً لعظمة هذا القديس.

يعيّد لهذا القديس في السابع من تشرين الثاني كما أن هناك جزء من رفاته محفوظ في خزانه صغيرة في لافرا القديس سابا.

القديسة صوفيا والدة القديس سابا المتقدس

عندما رقد يوحنا زوج أمَّنا البارة صوفيا، وعملت بإنجازات ابنها الكبرى، ووصلت إلى سن متقدمة جداً، قدمت كل ثروتها إلى القديس.

لم يستقبلها القديس سابا في ديره، لأنه كان قد حَرَّم على النساء الدخول إليه، فأرسلها إلى دير البارة بافلا المجاور لبيت لحم المقدسة. وهناك إذ جاهدت ووصلت إلى مقاييس الفضيلة، رقدت بالرب، فانتقل القديس وشيّعها إلى مثواها الأخير.

وبعد نقل رفاتها المقدسة، بنى الآباء الساباويون ديراً صغيراً على شرف القديسة صوفيا بالقرب من الدير الشريف، ووضعوا رفاتها هناك.

أسس القديس سابا بنقود والدته "متوخيون" أي دير تابع لدير القديس سابا المتقدس في أريحا لنقاهة آباء الدير الشريف.

يُعيّد لذكراها في الثامن عشر من كانون الأول.

من عجائب السيدة والدة الاله

التي حصلت مع أحد رهبان دير القديس سابا المتقدس

كان في زمان أبينا البار المتقدس رهباناً كثيرون في اللافرا المقدسة، وهؤلاء كانوا يمضون جُلّ أوقاتهم في الأصوام والصلوات والأشغال اليدوية الشاقة، فذهب إلى اللافرا إنسان من الأغنياء وأشراف القوم، وطلب ان ينضم الى الرهبان، فقبله القديس سابا بفرح عظيم، وبما أن هذا الانسان لم يكن معتاداً على الأتعاب الشاقة، كان البار يرفق به، ولك يلزمه في خدم الرهبان الشاقة، لأنهم كانوا يشتغلون في عمل الأرض، ويتممون أشغالاً أخرى من الصباح حتى الساعة الثالثة عصراً من النهار، وبعد ذلك كانوا يعودون إلى اللافرا ويقيمون الصلوات، ثم كانوا يتناولون الطعام جميعاً، وعليه كانوا يأكلون مرةً في النهار، وأمّا ذاك المبتدئ، ولعدم استطاعته القيام بأشغال شاقة، أمره القديس سابا، أن يلازم الزهد قدر استطاعته ضمن اللافرا، ويلبث صائماً حتى المساء، ليتناول الطعام مع بقية الاخوة، إلا أن المبتدئ لم يستطع أن يقوم بحفظ هذه الوصية، بل كان يأكل في مخدعه سراً وكان أقاربه يأتونه ببعض الأغذية، وكان القديس يعلم بذلك إلا أنه لم يكن يزجره ويوبخه، مراعاةً لضعفه ولرغد العيش الذي كان معتاداً عليه فيما سلف، وكان يصلي إلى الله من أجل إصلاحه وثباته في العيشة النسكية، فلمّا أقبل عيد رقاد سيدتنا والدة الإله الواقع في 15 آب، رأى المبتدئ رؤيا في الكنيسة، وهي أنه عندما كان الرهبان يتناولون الأسرار، تبين له بأن الرهبان كانوا يتناولون الأسرار المقدسة بحضور السيدة والدة الإله، وقد قالت له بأنه لا يستحق أن يُمسَح بالمنديل الذي به يُمسح عرق الرهبان الذين يتعبون في خدمة الدير المقدس، فلما سمع هذا الكلام إرتاع خوفاً فذهب وأخبر القديس سابا بما رأى، وهو في حال الاختطاف. فقال له القديس: "إن هذه الرؤيا هي لمنفعتك الروحية يا بني، وإن السيجة ترغب منك أن تلازم العيشة النسكية كما يجب بدون ملل، وإذا تصرفت أنت بمقتضى إشارتها، تصير أهلاً لتناول الأسرار المقدسة مع سائر إخوتك يوم عيد رقادها وكذلك

في بقية الأعياد السيدية والمختصة بوالدة الإله". فأثر هذا الكلام في الشاب تأثيراً بليغاً، وأخذ من ذلك الحين يُصلي ويمارس الأشغال الشاقة، والتي هي علاج فعّال لقمع الأهواء البشرية والشهوات الجسدية. وهكذا أكمل حياته بالطاعة والتقوى إلى أن انتقل من هذا العالم الفاني إلى عالم البقاء والخلود. وأحصى مع الأبرار والصديقين الذين لهم ملكوت السموات.

الملحق

1) الأحداث والتواريخ الهامة في اللافرا المقدسة

484م : البدء بالأعمال الانشائية والبناء العمراني لدير القديس سابا المتقدس.

492م : قيام البطريرك الأورشليمي سالِستوس (486-497م) بتدشين كنيسة ثيوكتستوس (المبنية من الله).

492 – 502م: الشروع ببناء الكنيسة (الكاثوليكون) (493م) على شرف بشارة والدة الاله وتأسيس دير مبتدئي الدير الكبير وكذلك دير كاستيليا سنة (492م).

502م : الاحتفال بتشدين كنيسة البشارة لوالدة الاله من قبل البطريرك إيليا الأول (494-516م).

537م : التاريخ المرجح لإنجاز أعمال البناء لبرج يوستينسانوس.

614م : في 16 أيار تم تدمير اللافرا على يد الفرس وتم اقتراف مذبحة بشعة بحق الآباء الساباويين.

632-634م : إعادة تنظيم أمور اللافرا من قبل البطريرك موذستوس.

786م : مذبحة ارتكبت بحق بعض الرهبان الساباويون وذلك هلال الحرب الأهلية التي نشبت بين خمس قبائل بدوية عربية متناحرة.

786م : 14 نيسان ذكرى استشهاد القديس خريستوفورس الساباوي.

795-796م : تعرضت اللافرا لغارات بدوية.

796م : في 13 آذار أغار ستون رجلاً من البرابرة (الساريين) على اللافرا لغرض الاستيلاء عليها. وقد نتج عن هذه الغارات سقوط ثلاثين جريحاً من الرهبان وإحراق القلايات. ولاحقاً في 20 آذار تعرضت اللافرا لغزو بربري آخر واقترفت مذبحة ذهب ضحيتها عشرين شهيداً من الآباء الساباويين ومنهم نذكر سرجيوس تلميذ (مريد) رئيس الدير الروحي باسيليوس.

فقد تم حشر الآباء في كهف ضيق (سرداب) في كنيسة القديس نيقولاس وعند فوهة الكهف قام البرابرة بإشعال نيران كثيفة فتسببوا بموت العديد من الرهبان اختناقاً ومن ثم نبهت الكنيسة وغرف رئاسة الدير وقلايات الرهبان.

1099م : استيلاء الغزاة الصليبيون على اللافرا.

1200- 1310م : زيارة الصرب إلى الأماكن المقدسة في فلسطين وكذلك للافرا المقدسة.

1504م : تسلم رهبان صربيون إدارة اللافرا المقدسة وقد تم ذلك بموافقة ومباركة البطريرك الأورشليمي.

1610-1612م : بناء البرج الخارجي للافرا من قبل الرهبان الصربيين.

1623م : مغادرة الرهبان الصربيون الأماكن المقدسة في فلسطين وكذلك اللافرا. وكان البطريرك ثيوفانس (1608-1644م) قد قام وسدد الدين واستعاد سيادة البطريرك التامة على اللافرا.

1667م : الانتهاء من أعمال الترميم والإصلاح للسور الخارجي للافرا على يد البطريرك نكتاريوس (1660 – 1669م).

1686م : قام البطريرك الأورشليمي دوسيثوس بأعمال ترميم وإصلاح جذري لكافة مجمع اللافرا. ولإتمام هذا العمل الضخم بذل الكثير من الجهود المضنية وتحمل مشقات جَمّة ونجح في نهاية المطاف بالحصول على إذن من السلطات للقيام بأعمال الترميم هذه.

1707م : إنهاء الأعمال الإنشائية للدعامة الجنوبية لكنيسة البشارة لوالدة الاله (الكاثوليكون).

1707- 1731م : قام البطريرك خريسانثوس بأعمال إنشائية وإضافية في الدير وخصوصاً انجاز العمل بالدعامات الجانبية لكنيسة البشارة لوالدة الاله (الكاثوليكون).

1834ك : (13 أيار) ضرب زلزال قوي أبنية الدير وانزل فيها أضرار جسيمة. فتم إصلاح الأضرار الناتجة عن الزلزال بمساهمة متروبوليت البتراء ميسائيل وسكرتير البطريركية والسنجلوس سيرافيم والرئيس السابق دافيد.

1840م : إنشاء وإضافة بعض الأبنية السكنية من قبل الأرشمندريت أنثيموس.

1843م : زخرفة منبر الواعظ من قبل اغناطيوس.

1847م : بناء بئر لتجميع المياه من قبل اغناطيوس.

1849م : تبليط أرضية كنيسة الكاثوليكون بالبلاط المرمري.

1857م : بناء الأيقونسطاس في كنيسة القديس يوحنا الدمشقي على نفقة الراهب باييسيوس.

1857م : بناء بئر ماء لمستشفى اللافرا على نفقة كيرللس وسابا.

1861م : بناء الغرف الشمالية الشرقية من شجرة النخيل على نفقة الأرشمندريت ديونيسيوس الفليبوبولي.

1882م : بناء الجرسية من قبل الرهبان الساباويين.

1893م : بناء النارثكس في كنيسة القديس نيقولاس على نفقة أنانياس فلاخوس.

1906م : شراء مغارة القديس سابا وترميمها من قبل الآباء الساباويين.

1910م : انجاز أعمال الطراشة والدهان الزيتي في كنيسة البشارة لوالدة الإله (الكاثوليكون) من قبل جرمانوس.

1965م : إعادة رفات القديس سابا لمتقدس إلى ديره في 13 تشرين الأول.

1985م : أتم الأرشمندريت أونوفريوس الترميمات الضرورية لقسم العجزة.

2000-2002م : ترميم الكثير من غرف ومرافق الدير وكذلك تم كسوَ القباب بصفائح النحاس وكذلك تم كسوَ قبة فبر أبينا البار سابا المتقدس (2002) على نفقة حكومة وشعب اليونان وكما السيد إيغور التوشكين وبجهود الأرشمندريت أفذوكيموس الأب الروحي لرهبان الدير.

2002م : ذكرى مرور 1500 سنة على تدشين كنيسة دير المركزية كنيسة بشارة والدة الإله (الكاثوليكون).

2) الكنائس الرئيسية في اللافرا

1- كنيسة الباسليكية الكبرى المسماة بكنيسة البشارة لوالدة الإله (الكاثوليكون).
2- كنيسة القديس نيقولاس ثيوكتستوس أي المبنية من الله.

3) أماكن النسك الهدوئية

1- أقيمت على شرف القديسة صوفيا والدة القديس سابا.
2- أقيمت على شرف القديس سابا في البرج بالقرب من بيت ساحور.

4) كنائس اللافرا المقدسة

1- كنيسة القديسة حنة.
2- كنيسة القديس يوحنا الذهبي الفم.
3- كنيسة القديس يوحنا الدمشقي.
4- كنيسة رؤساء الملائكة.
5- كنيسة الشهداء الأربعين.
6- كنيسة القديس جاورجيوس.

5) الأديرة التي أنشأها القديس سابا والكينوبيا (أديرة الشركة) وملاجئ الفقراء والفنادق.

أ- أديرة اللافرا :

1- اللافرا الكبيرة بجانب سيل قدرون (وادي النار) سنة 484م.
2- اللافرا الجديدة سنة 508م.
3- اللافرا ابتاستوموس سنة 512م.
4- اللافرا ايريمياس سنة 531م.

ب- أديرة الشركة (كينوبيا).

1-دير كاستيليا سنة 492م.
2- دير مبتدئي الدير الكبير سنة 493م.
3- دير غاذارا إلى الحنوب الشرقي من طبرية سنة 503م.
4- دير نيقوبوليس سنة 508م.
5-دير المغارة سنة 509م.
6-دير يوحنا سخولاريوس كان معروفاً سابقاً ببرج الملكة أفذوكية سنة 512م.

6) الملاجئ للفقراء

1- ملجأ الفقراء بأورشليم بجانب قلعة النبي داود.
2- ملجأ آخر بجانب قلعة النبي داود وينتمي لدير الشركة كاستيليا.

7) الفنادق

1-الفندق الموجود في اللافرا ويخدم الآباء سنة 491م.
2- فندق يقع إلى الشمال من قلايات المميزين (في القدس) وقد بني لاستضافة الرهبان الأجانب سنة 491م.
3- فندق في أريحا "متوخيون" على نفقة القديسة صوفيا والدة القديس سابا سنة 491م. وقد جُعل لنقاهة آباء الدير الشريف.

الفهرس

أسماء القديسين	يعيد لذكراهم	الصفحة
1- القديس سابا المتقدس	5 كانون الأول	5
2- القديس يوحنا أسقف	3 كانون الأول	21
3- القديس يوحنا الدمشقي	4 كانون الأول	24
4- القديس أبراميوس أسقف أقراطيا	6 كانون الأول	33
5- القديس الشهيد والشاب فاكخوس	15 كانون الأول	37
6- القديس ميخائيل السنجلوس	18 كانون الأول	38
7- القديس أنتيوخوس القابل الكل	24 كانون الأول	41
8- القديس أفروذيسيوس الساباوي	24 كانون الأول	43
9- القديس ثيوذوروس غرابتوس (الموسوم)	27 كانون الأول	45
10- القديس كسينوفون وزوجته ماريا وولديه القديسان أركاذيوس ويوحنا	26 كانون الثاني	46
11- القديسون الشهداء الذين سقطوا في مذبحة السراقيين (الساريين)	20 آذار	48
12- القديسون الشهداء الذين سقطوا في مذبحة قام بها الفُرس.	16 أيار	65
13- القديس أنثيموس المنطري على ذاته	7 حزيران	68
14- القديس أندراوس أسقف كريت	4 تموز	69

(الأورشليمي)
15- القديس استيفانوس الساباوي العجائبي 13 تموز 72
16- القديس الشهيد ميخائيل 19 تموز 73
17- القديس ثيوذوروس أسقف ايذيسا 19 تموز 76
18- القديس الشهيد جيورجيوس التلحمي 27 تموز 79
19- القديس أيلاريون الآيبيري 27 تموز 80
20- القديس يوناس الساباوي 21 أيلول 81
21- القديس ثيوفانس غرابتوس الموسوم 11 تشرين الأول 82
22- القديس قزما ميلوذوس المرتل 14 تشرين الأول 84
23- القديس استيفانوس (الكاهن) 28 تشرين الأول 87
24- القديس لازاروس العمودي 7 تشرين الثاني 88
25- القديسة صوفيا والدة القديس سابا 18 كانون الأول 90
26- عجيبة والدة الإله مع أحد الرهبان الساباويين 91
27- الملحق 93

بسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

إخوتنا الأحباء في المسيح جسد الكنيسة الجامعة الرسولية المستقيمة الرأي، نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا والروح القدس معزينا.

بفرح في المسيح نخبركم أنه قد تم تأسيس مركز الثقافة والتعليم الأرثوذكسي

في مدينة بيت جالا، وهو الأول في المدينة الذي يعني بأمور الكنيسة الأرثوذكسية ورعيتها من ناحية التثقيف والتعليم المسيحي والتنمية الروحية.

نشوء المركز

إن حياة الكنيسة الروحية في المدينة لم تسلم من هجمات "الذئاب الخاطفة" (متى 7:15) لأنه "وكما ظهر في الشعب قديماً أنبياء كذابون، فكذلك سيظهر فيكم معلمون كذابون" (2 بطرس :1). فقد نشطت هذه الحركات بشكل أكبر في الآونة الأخيرة

مستغلة سوء الظروف المعيشية لخطف أكبر عدد ممكن من ابناء الكنيسة الرسولية المستقيمة الرأي. وكانت الحاجة الروحية ماسة للرعية لكي تلتحم بكنيستها وتتعرف إلى تراثها الأصيل فتتجذر فيه وتغنيه وتمت بلورة فكرة العمل مع كافة أبناء الكنيسة وذلك انطلاقاً من إيماننا بأنه "كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت" (يع 26:2).

وبمشيئة الرب تم عقد جلسة الهيئة التأسيسية لمركز الثقافة والتعليم الأرثوذكسي في 2002/10/16 من الأعضاء الملتزمين، وتم انتخاب هيئة إدارية ووضع النظام الداخلي والأهداف، والمركز يعمل كجزء من جمعية الإحسان الأرثوذكسية العربية، والتي هي الجمعية الأم لجميع المؤسسات الأرثوذكسية في المدينة، وقد حصل على بركة ودعم كل من وكلاء الكنيسة والآباء الروحيين وغبطة البطريرك كيريوس كيريوس إيرينيوس الأول.

أهداف المركز

نشر الوعي الثقافي الديني الأرثوذكسي لأبناء الكنيسة الأرثوذكسية بناء على تعليم الكتاب المقدس والتقليد الشريف، وتعميق الايمان المسيحي والتنمية الروحية لدى الأطفال والشباب، وتشجيع المهتمين على دراسة اللاهوت في الجامعات والمعاهد العليا والانخراط في سلك الكهنوت لخدمة الرعية. حيث الشباب على البقاء في الوطن وعدم الهجرة وبذلك يشهدون لسيدهم القائم من بين الأموات له المجد.

إنشاء مكتبة لحفظ التراث الآبائي والكتب المقدسة، عمل ندوات ومحاضرات ودراسات ورحلات دينية تثقيفية وإقامة الصلوات والرياضات الروحية بشكل منتظم، تنشيط وتفعيل مدارس الأحد الأرثوذكسية والشبيبة الأرثوذكسية روحياً وتعليمياً، التعاون مع الرئاسة الروحية والكهنة ولجنة وكلاء الكنائس الأرثوذكسية وجوقة الترانيم الأرثوذكسية في بيت جالا في كافة نشاطات الخدمة الاجتماعية والروحية.

إبراز الوجه الأرثوذكسي للبلد عبر تفعيل نشاطات الاحتفالات الدينية المختلفة وعلى رأسها عيد القديس نيقولاس شفيع البلد.

اقامة العلاقات الأخوية والنشاطات المشتركة مع الجمعيات والمراكز التي تهتم بالتوعية الروحية الأرثوذكسية في البلاد والخارج.

إخوتنا الأحباء في المسيح، نهديكم كتابنا هذا الذي هو باكورة إصداراتنا. آملين أن يساهم هذا العمل المتواضع في إغناء الحياة الروحية لجميع الذين يطالعونه.

محبتنا لكم وصلواتنا من أجل خلاصنا أجمعين.

أخوتكم في المسيح

مركز الثقافة والتعليم الأرثوذكسي

بيت جالا 2002/12/17